روايات عبير

بحيرة الرجل الضائع

◆ لم تكن تعلم ويللى ايفريت أن قبولها دور الملهمة للكاتب المعروف جدا رايس مورغان سوف يجلب لها الكثير من الألم، ليس فى حياته فقط ولكن بعد وفاته أيضا .. فقد طلب منها عمها السفر إلى فرنسا إلى قلب الهضبة المركزية لمقابلة أوجينى دوبريان والدة رايس فى رحلة عمل .. لقد تزوجت ويللى عملها منذ فترة طويلة .. ولكن هناك فى القصر العتيق قابلت راوول الأخ الأكبر لرايس، والذى يحملها مسؤولية موت شقيقه.

لقد أحبت راوول من كل قلبها، ولكن هناك من يقف حائلاً دون هذا الحب ..

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

W.Salama 01015173731

روايات عبير

بحيرة الرجل الضائع

No. 474

١ ـ مهمة قاسية

– «عليك ان تتزوجي عملك» هذا ما قاله لها عمها قبل اربع سنوات، حينما عرض على ديللى ايفريت العمل معه فى دار النشر التى يملكها، وكان عليها ان تقبل نصائحه لترد له الجميل، لانه تولى رعايتها بعد موت أهلها وهى طفلة صغيرة فهو الآن عائلتها الوحيدة. وها هو يعود الآن إلى تكرار قوله هذا قبل أن يرسلها إلى فرنسا، لتأدية مهمة غريبة إلى حد ما.

وبما انها كانت قد تزوجت عملها فعلاً، ولم تنجذب إلى خوض المغامرات التى لا مستقبل لها والتى ترضى أبناء جيلها من الشباب، فقد قبلت ان تعيش كذبة ولمدة سنة كاملة أمام الرأى العام، كذبة جعلتها تربط اسمها باسم ذلك الشخص المعروف جداً رايمن مورغان، كذبة اعتقدت انها تستطيع ان تنساها بعد موت هذا الشخص.

انها ترتجف عندما تستعيد ذكرى هذه الأشهر الصعبة، أو لربما، وبكل بساطة، كان ذلك بسبب الرياح التى تهب على رصيف المحطة. لأن الهواء مازال بارداً فى أواخر الربيع، وهى ترتدى معطفاً خفيفاً من

الصوف الذهبي اللون مما يضفي على شعرها الاشقر انعكاساً نحاسياً. ولم تستطع أن تحتمل الجو المعبأ بالدخان في صالة الانتظار، لأن القطار الذي أقلها إلى هنا، هذه الزاوية الواقعة إلى الشمال الشرقي من الهضبة المركزية، كان قد وصل قبل موعده المحدد ببضع دقائق.

قرية سان جوست كانت معلقة في الجبل الذي يبعد قليلاً عن المحطة، محاطة بجدار من الاحجار الجافة. اسطحة بيوتها حمراء، لكن البيوت مرصوفة الواحد تلو الاخر، معتمة، مما اعطى ديللي انطباعاً بانها امتداد طبيعي لأرض بركانية.

رايس تحدث عن الهضبة المركزية في بعض الاحيان في اعماله، وامام الهضبة الجبلية شعرت ديللي وكأنها شاهدتها من قبل، مع انها لم تزرها سابقاً على الاطلاق. انها تعرف هذه البلاد بفضل قصائد رايس مورغان حيث انها موطن امه.

واحست ديللي بأن شيخ رايس يراقبها، ويبتسم لها بصمت، كما كان يفعل احياناً، بوجهه الجميل الذي تغطي جزءاً منه خصلة شعر سوداء طويلة.

رايس مورغان الذي كان عليها ان تدّعي بانها خطيبته. لماذا قبلت ان تلعب هذا الدور؟

رايس مورغان احد الكتاب الرئيسيين في السلسلة التي تديرها ديللي التي سحرت بأعماله ومؤلفاته، أما بالنسبة إليه فقد كان سعيداً

لأنه يستطيع الاعتماد على احكامها. وظلت علاقتهما افلاطونية، بعد عدة محاولات غزلية بدون اقتناع كبير من طرف رايس.

وفي الحقيقة، رايس لم يكن بحاجة على الاطلاق ان يغازل ديللي، ولا اللواتي يقعن تحت سحر جاذبيته، لأنه كان محاطاً دائماً بمجموعة من المعجبات اللواتي يتشوقن إلى أن يحظين باعجابه. فشعره الغزلي جعله مشهوراً جداً، وعرف عنه بانه محب لا يقارن، وانه هو نفسه ثمرة حب ام فرنسية واب انكليزي.

عم ديللي وانتشه الفكرة بان يعلن خطوبة ابنة أخيه إلى رايس مورغان، لكي يحميه من نفسه، ولكي يحارب سمعته كغاوٍ للنساء. وحضور ديللي مجموعة من المحاضرات التي نظمت عبر الولايات المتحدة الامريكية لرايس، جنبه بالفعل بعض هذه الشائعات. ديللي كانت مترددة تجاه فكرة عمها، لكن رايس وجد ان هذه المسرحية تتناسب مع مزاجه لأنها سمحت له بان يبعد النساء اللواتي يضايقنه دون ان تمنعه من الاهتمام باللواتي يكترث لهن.

كل شيء سار كما كان متوقعاً. صحبة ديللي احبطت معظم المعجبات برايس لكن الأشياء بدأت تسوء باقترابها من نهاية اللعبة التي انتهت بمأساة مروعة.

بالنسبة لديللي، موت الشاعر مورغان وضع نهاية لدورها كخطيبة. اخفت هذه الحقيقة حتى عن امه، التي كتبت الى ولفريد ايفريت لكي

تدعو ابنة اخيه للاقامة فى قصرها فى الهضبة المركزية بفرنسا، لتطلع على مجموعة القصائد وبعض الوثائق غير المنشورة التى ارسلها رايس فى بحر السنة الى قصر امه التى لم تكن راضية بدورها عن ارسال هذه المواد الى انكلترا، وانها ستسعد بالتعرف إلى خطيبة ابنها.

- ارفض رفضاً قاطعاً.

هذا ما صرحت به لعمها قبل اسبوعين.

- الا تقيم وزناً لما ستفكر بى امه؟ يبدو انك نسيت انتى أنا من اهداها مجموعته الشعرية الأخيرة التى كتبها بجراة لم يكتب بها من قبل.

- نحن جميعاً نعرف انك لم تكونى ملهمته، ولكنه وجد فيك تجديداً بعد كل النساء الأخريات، ولقد ساعدته كثيراً ليضع الكتاب بالشكل المطلوب، ولهذا السبب اهداك اياه.

- لكن والدته تجهل هذا على الاطلاق، وهى تتصور اسباباً اخرى، وأنا متاكدة من انها تنظر إلى كمستهترة.

- اوجينى دوبريان آخر شخص يمكن ان يصدم بمثل هذا. ان مغامراتها مع والد رايس مورغان كانت سبباً فى تغيير يوميات ذلك العصر تغييراً جذرياً! لقد كانت الحدث الاكثر شهرة على مدى عقد. رغم ان تلك الفترة شهدت كثيراً من الاحداث المهمة الاخرى. تصورى الأثر: الممثلة الفرنسية الاكثر شهرة تهجر زوجها وابنها الفتى ولاسيما

مهنتها من اجل علاقة حب مع مؤلف درامى لايملك قرشاً، بالاضافة إلى أن اصله ينتمى إلى منطقة الغال. لا بالتاكيد، انها لن تفكر بأنك فتاة طائشة.

- وباقى العائلة؟

- انها تعيش وحدها فى القصر، ولم تخرج منه منذ سنوات. اقبلى يا ديللى وسيكون ذلك عملاً طيبا منك لأنها وحيدة وستسعد بالتعرف إلى الفتاة التى احبها ابنها.

- الفتاة التى تتصور بأنها كانت حبيبة ابنها.

صححت ديللى كلام عمها، وانتهت بأن تقبل المهمة على مضض.

- الآنسة ايفريت؟

هذا السؤال اخرج ديللى من تأملها، والتفتت مبتسمة، على اعتبار ان هذا هو سائق مضيفتها. رجل طويل القامة، نظر إليها بخشونة، متفحصاً اياها بعينين سوداوين حادتين بلون صخور البازلت.

- هل انت فى خدمة السيدة دوبريان؟

لم يجب، بل اكتفى بالنظر إلى ثيابها الأنيقة بعين ناقدة، الثياب التى اعتبرتها مشرفة للقاء اوجينى دوبريان. ثم تمعن فى حقيبتى السفر الكبيرتين، وهو ما يعنى انها تفكر باقامة طويلة فى القصر لكى تدقق فى وثائق رايس.

هذا الاستقبال البارد اقلق ديللى، وبذلت كل ما فى وسعها لتتغلب على ارتباكها، متفحصة ذلك الشاب الذى ارسل لاستقبالها. هناك شىء فى وجهه يشبه الجبال المنتصبة خلفه، شىء من البدائية. من الخشونة كان مظهره كأرض مليئة بالحصى، عقد ناتئة، خدود غائرة، شعر طويل يتراقص فى الهواء. رجل يبدو فى الخامسة والثلاثين من العمر، أى يكبرها بعشر سنوات كاملة، وبما انه لم يجب على سؤالها فقد استنتجت انه لا يعرف الانكليزية.

كررت السؤال بالفرنسية:

- هل انت فى خدمة السيدة دوبريان؟

- تعالى معى.

اخذ الحقيبة الاكبر حجماً وسار على امتداد الرصيف دون أن يبدى بها أى اهتمام.

ثارت ديللى لأنه ترك لها الامتعة الثقيلة، اضافة إلى حقيبة السفر الأخرى وحقيبة يدها.

تمتمت وهى تتبعه بصعوبة:

«لو كان يعمل لدىّ لطردته». من المؤكد انه من الصعب إيجاد سائق يلائم هذا المكان المتراجع البعيد فى منطقة الأفيرن من الهضبة المركزية. ولكن لماذا تتساهل السيدة دوبريان مع مثل هذه التصرفات اللامبالية؟

يرتدى سروالا لا شكل له وسترة جلدية شبه بالية، وبشكله هذا يبدو انه شخص مؤهل ليقوم بعدة اعمال! واملت ديللى ان لا ينطبق سلوكه على كل خدم القصر، لانه اذا كان هو المثال فستقضى بضعة اسابيع متعبة لاشك فى ذلك.

كان يمشى بخطوات كبيرة مما اضطر ديللى ان تركض خلفه لكى تلحق به. تزحلقت ولوت رجلها، التفت اليها اثناء توقفه أمام سيارة الريو ولم يبد استعداداً لمساعدتها. تقدمت بهدوء، وحاولت ان تظهر سخطها وان لا تعرج، منزعجة من كونها لم تنتعل حذاء اسهل للمشى.

وعندما وصلت الى السيارة، كان قد وضع الحقائب فى الصندوق، ولايزال يمسك بالباب منتظراً ان تأخذ مكانها فى المقعد الأمامى.

وهذا ما كانت ستفعله بشكل اعتيادى مكتفية بهز كتفيها امام هذه الوقاحة، ولكن موقفه هذا اخرجها عن طورها.

- سأجلس فى الخلف.

هذا ما قالته، ناسية انه لا يفهم الانكليزية.

لم يجب، وكان يمكنها ان تكرر ما قالته بالفرنسية، ولكنها كانت منفعلة جداً لدرجة انها ألقت بحقيبتها على المقعد الأمامى وفتحت حصيرة الباب الخلفى وصعدت.

اغلق السائق الباب الامامى دون ان يتحمل عناء اغلاق الباب

الخلفى، وجلس الى مقود السيارة واحست ديللى بالاهانة ثانية فاغلقت الباب الخلفى بكل قواها، ووضعت حقيبة يدها على المقعد بعد ان ازاحت غطاء قديما ثم جلست فى الزاوية المعاكسة للسائق لتكون ابعد ما يمكن عنه. ظل الرجل ثابتاً فى مكانه، يداه متشنجتان على المقود وكأنه يبذل مجهوداً كبيراً ليحافظ على هدوئه. هل سببت له احراجاً بتكلمها بالانكليزية؟ هل يعتقد انها ستعتذر له؟ وإذا كان الأمر كذلك فلينتظر.

طال الانتظار، واصبح الموقف مخزياً. وحاولت ديللى أن تستعيد فى ذاكرتها تعبيراً بالفرنسية لتعطيه الأمر بالانطلاق، ولكنها لم توفق.

- انا جاهزة.

هذا ما انتهت إلى قوله.

وبدون أى كلمـــة ادار المحـــرك وانطلق، ولاحظت ديللى يديه الناعمتين اللتين لا علاقة لهما ببقية مظهره الخشن. ولكى يكمل المناورة التفت اليها وحدجها بنظرة سيئة.

وفكرت ديللى ان تشكوه الى السيدة دوبريان ثم تخلت عن الفكرة لأنها لا تود ان تفتتح اقامتها فى القصر بطريقة غير ظريفة، وقررت ان تنتقم لنفسها فى الوقت المناسب بطريقة غير مؤذية ارضاء لذاتها.

- أنت شخص فظ، وقح ومبتذل.

هذا ما قالته بالانكليزية وهى تلفظ كل مقطع بعناية ونبرة ناعمة وباستمتاع.

لقد كان رد فعلها طفولياً، ولكنه خفف عنها بعض الشىء لأنه التنفس الوحيد المتاح لها حاليا.

اجتازت العربة سان جوست، وبدا المكان وكأنه يخرج مباشرة من العصور الوسطى، وكأن السائق هو الآخر قد خرج من صفحات كتاب عن تاريخ نفس الحقبة كأحد اسيادها القساة، أو بالاحرى عليها ان تتخيله كقروى يحرس بضع عنزات او نائماً فى خيمة مع الحيوانات.

اجتازت العربة الجدران، فالطريق يتسلق الجبل محاطاً بخشب السنديان من اليمين وبالمراعى المنحدرة حتى النهر من اليسار، وفجأة تركا الطريق المعبدة ليسلكا طريقاً ضيقة تتعرج بين الصخور.

بعد قليل، لمحت ديللى عن بعد كتلة معتمة لقصر معلق على طرف تلة وكان الفضول اقوى من مشاعرها فتوجهت الى السائق مختارة كلماتها بعناية بحيث لا تترك له مجالاً فى النهاية ليسخر من فرنسيتها.

- هل هذا هو القصر الذى فى الأعلى؟

- يبدو انه لا يفوتك شىء.

اجابها بالانكليزية وبلهجة ساخرة. علت الحمرة وجهها، انه اذن متمكن من الانكليزية ووجدت نفسها فى موقف حرج يتطلب الأسف فقالت مسرعة:

- أنا آسفة لأننى نعتك بالوقاحة، ولكن لماذا لم تقل لى إنك تتكلم

الانكليزية؟

- ولماذا اقول لك؟

- يبدو لى أن هذا امر طبيعى! أو على الاقل لأعفيتنى من الاحساس بانتى كنت مضحكة.

اجابها بجلافة:

- أنت تتدبرين امورك بشكل جيد ولا حاجة لمساعدتى.

- من انت تماماً؟ لا اعتقد انك السائق، والا لما سمحت لنفسك بان تكلمنى بهذه الطريقة القاسية.

لم يجب، وبعد لحظة صمت، عادت إلى الحديث.

- هل تعمل فى القصر ام لا؟

- أحياناً.

- ماذا تفعل؟

- هل هذا يهمك؟

هذا الصد اذهل ديللى، كيف يجرؤ هذا الرجل ان يبدى قلة ادب الى هذا الحد؟ «ولم اخطىء بان اصفه بالوقاحة، ومع ذلك قدمت اعتذارى».

ديللى لم تكن طيلة حياتها تلك المرأة التى تتحمل اى اهانة دون ان تردها، وارغمت نفسها ان تحافظ على هدوئها، ولكنها عاودت الهجوم.

- بالتاكيد، هذا يهمنى، لأننى سأقيم بعض الوقت فى القصر، وبالتالى سأحتك بكل الأشخاص، هل فهمت، حتى ولو كنت لا تعمل بشكل دائم فيه، انا لا اهتم بشكل خاص بنشاطاتك، لكنى متمسكة بان تجتنبك فى أى حال من الاحوال. وهذا ما لا احبه، ان اشكو سلوكك هذا إلى السيدة دوبريان.

- وكذلك انا أيضاً.

احست ديللى بانها ستختنق من الانفعال لدى سماعها هذه الجملة الحمقاء. كما لاحظت مجدداً أن الرجل كان متوتراً، فعقد اصابعه كانت بيضاء من جراء ضغطها بعنف على مقود السيارة، وبدا لها انه هو ايضاً يبذل مجهوداً كبيراً لكى لا ينفجر من الانفعال.

لماذا يكرهها الى هذا الحد؟ من هذا الشخص المتعجرف؟ انها متاكدة الآن من انه ليس السائق، هل هو مدير اعمال السيدة دوبريان؟ لا انه فظ جداً لكى يشغل منصباً كهذا، ويوحى مظهره بانه يقضى معظم وقته فى الهواء الطلق وليس فى منزل. إذن ماذا يمكن ان يكون مكانه فى القصر؟ وقررت ديللى ان تثير وقاحته بأى طريقة.

- هل أنت دائماً على هذه الدرجة من الوقاحة؟ لا اعتقد انك تجرؤ ان تسلك هذا السلوك مع سيدتك، فالسيدة دوبريان لن تتساهل فى ذلك، وبصراحة إن سلوكك هذا غير مقبول وغير مفهوم.

اجابها بنبرة حادة:

- يا آنسة، بما انك لست سيدتى والأمل ضعيف فى أن تصبحى كذلك، فكل ما يمكن ان تفكرى به لا يهمنى على الاطلاق.

هذا الجواب ذو المعنيين جعلها تحمر حتى جذور شعرها وعضت على شفتيها لتمنع نفسها من الاجابة.

لا تزال ديللى ترتجف سخطاً، ولكنها تجاهلت تلك الوقاحة، وركزت انتباهها على القصر. لقد اصبح واضحاً أمامها الآن، انه قصر معلق على الصخور وكأنه خرج منها، مبنى من نوع من الاحجار الغامقة كمعظم القصور فى هذ القسم من الهضبة المركزية، قاتم ومتين، محصن باربعة ابراج مثلثة السطوح، يسيطر على الوادى بكتلته الثقيلة وكأنه رسم متقن فى إحدى القصص الخيالية.

واخيراً، عندما وصلا إلى القصر، كانت ديللى قد استعادت هدوءها تقريبا. فمشطت شعرها، وضعت قليلاً من احمر الشفاه، ولمسة لون على خديها ويضع قطرات من العطر، وها هى الآن جاهزة لمقابلة السيدة دوبريان.

فى الباحة توقفت العربة ولحسن الحظ قريباً من السلم الكبير، تمتم السائق ثم خرج ولف حول السيارة، وتخيلت انه سيفتح لها الباب، ولكنه فتح الصندوق وسحب الحقيبة ووضع متاعها امام باب المسكن وهى لا تزال جالسة فى مكانها. وأسفت لكونها قبلت مهمة حساسة كهذه دون ان

تستدرك الصعوبات التى ستواجهها وتمنت لو لم تأت منذ البداية.

فتحت بوابة القصر وخرجت منها سيدة بدينة ترتدى السواد مع عمامة بيضاء، وبابتسامة عريضة هبطت الدرجات ومدت لها ذراعها.

- الآنسة ايفريت، اهلاً وسهلاً بك. انا ارنستين المسؤولة عن قصر السيدة دوبريان، ان سيدتى تترصد صوت السيارة، لقد تأخرت. يبدو انك انتظرت طويلاً فى المحطة؟

- انتظرت قليلاً ولكن لا اهمية لذلك فأنا سعيدة بوصولى ومسرورة جدا بالتعرف اليك يا ارنستين.

- من المؤكد انك متعبة بعد هذا السفر الطويل، غرفتك جاهزة، واعتقد انك تريدين ان تغتسلى؟ وبالتالى سأصحبك إلى السيدة.

استقبلتها المسؤولة بحفاوة اعادت إليها هدوءها المفتقد، وكان الرجل قد عاد ثم اختفى مع امتعتها، وان كانت تفضل ان تنقلها بنفسها بدلا من ان تقابل هذا الشخص الفظ فى غرفتها.

كان المدخل واسعاً، يسبح فى النور على عكس ما اعتقدت ديللى من انه سيكون معتماً. فأمام السلم الحجرى الكبير هناك نافذة واسعة مفتوحة فى الجدار دون ان تزيل عنه طابع العصور الوسطى. جمال المكان قطع انفاسها، ولم تستطع ان تكتم حماسها.

- يا لها من عظمة وبهاء!

www.liilas.com

ابتسمت ارنستين وانبرت تتلو تاريخ القصر بكبرياء المالكين، وبعد ان اجتازتا الصالة وصعدتا درجات السلم توقفت ديللى لتلتقط انفاسها. ولمحت من النافذة جزءا من الباحة والحديقة، شجرات الورد ما زالت محمية من الجليد بمساحة من القصب. وادهشتها الجدران التى تحيط بالباحة، هنا ايضا مساحة كبيرة من الازهار كانت متفتحة، والقصر اجريت عليه تعديلات أساسية، لكن المهندسين المعماريين كانوا قد اخذوا بعين الاعتبار المحافظة على الشكل الخارجى بطابعه الوسيطى.

- ارى ان السيدة دوبريان أجرت تحسينات عديدة، وبذوق كبير. يبدو انها تحب ان تحيط نفسها بالأشياء الجميلة.

ارنستين نظرت اليها نظرة استجوابية وقالت:

- هل حدثك السيد رايس كثيراً عن أمه؟

- نعم يا ارنستين بالتأكيد!

ولم تشأ ديللى ان تعترف بالحقيقة المرة فهو لم يحدثها قط عن امه.

- هذا صحيح فالسيدة كانت دائماً تحب الجمال.

ثم تنهدت وأضافت:

- ولا تزال.

وتابعت المسؤولة صعودها قبل ان تتمكن ديللى من استجوابها عن

معنى هذه الملاحظة. ثم سارت فى ممر طويل مزين بالسجاد القديم الذى يصور مشاهد الصيد، وفى نهايته فتحت باباً لتدخل ديللى.

- ها أنت فى منزلك.

ديللى لم تصدق عينيها، الغرفة فسيحة والنوافذ مفتوحة على الباحة، وامام الحائط ينتصب سرير بقوائم على طراز المنطقة، مغطى بالحرير الاصفر. وعلى طاولة وضعت مجموعة من الازهار بانسجام جميل، والارض مفروشة بسجاد سميك من الصوف الذهبى، وهناك باب يفتح على حمام حديث وفاخر.

- هل انت مسرورة؟

- نعم. بالتأكيد فالغرفة رائعة، يبدو انها مريحة جدا.

فارقتها الابتسامة عندما شاهدت امتعتها بجانب الخزانة، اذن لقد جاء الى هنا ويعرف ان هذه هى غرفتها، ومن جديد عاودها السؤال:

- من يكون هذا الرجل بالتحديد؟

فكرت ان تسأل ارنستين، لكن شيئاً منعها عن ذلك. ستنتهى بأن تعرف على أى حال، ان طرح السؤال على ارنستين سيكون مضايقة لها. وستتساءل لماذا لم يذهب السائق الى المحطة، وهذا يمكن ان يثير فضولها وقد يعرضها لطرح اسئلة مثيلة هى فى غنى عنها. كيف ستشرح لارنستين التنافر المتبادل وهى نفسها لا تعرف الاسباب؟

www.liilas.com

تنازلت ديللى عن اندفاعها، وطلبت مفتاح الغرفة من ارنستين.

- ها هو يا آنستى.

قالتها وهى تسحب مفتاح الغرفة من مجموعة تحملها حول رقبتها كعقد طويل.

- ولكن ليس من الضرورى الاغلاق بالمفتاح، فانت فى أمان تام هنا. على كل حال، اذا كنت مصرة على ذلك ها هو المفتاح.. سآمر لاصحبك الى السيدة. هل تكفيك نصف ساعة لتحضرى نفسك؟ لانه بعد ذلك سيحين موعد تناول العشاء.

- شكراً يا ارنستين، هذا مناسب لى تماماً.

ادارت ديللى المفتاح فى القفل بعد ذهاب ارنستين، وفوجئت بانها تغنى تلقائيا وهى تبدل ملابسها، ونسيت الم رجلها، وجربت خطوات راقصة وهى ترمى ثيابها فى كل الاتجاهات مع انها منظمة الى درجة لامتناهية. موقع القصر رائع، والغرفة مريحة، وهى شغوفة بالعمل الذى ينتظرها.

كانت درجة حرارة المياه جيدة، وكل ما فى الحمام يتمتع برائحة عطرة لطيفة. وتمددت فى المغطس لتمحى آثار تعب السفر. وعندما تذكرت ارنستين اسرعت فى الخروج من الحمام حتى لا تتاخر.

اى فستان ستختار؟ لفت حولها منشفة صفراء، وبدأت تفتش فى

حقيبتها. وقرع الباب.

لقد جاءت ارنستين، ادارت قفل الباب وفتحته على مصراعيه.

انه... هو. صوب نظراته الى عينيها ثم ادارها فى أرجاء الغرفة، واخيراً عاد ليتفحصها من رأسها إلى اخمص قدميها بتان آسر مما جعلها تحمر وتتضايق من كونها غير قادرة على ان تكتم انفعالها.

- أنت! ماذا تفعل هنا؟

أمسكت منشفة الحمام بيد مرتجفة محاولة ان تستعيد احترامها.

- لقد نسيت الحقيبة فى العربة. ولا تتخيلى بان هناك شيئاً آخر يمكن ان يجذبنى إلى غرفتك؟

ثبت نظره عليها بطريقة وقحة وفجة وظلت ديللى غير قادرة على الكلام ولكنها لم تحول نظرها رافضة ان تظهر له مقدار الاهانة، وشعرت بانها قصيرة جدا بالنسبة الى قامته الفارعة المنتصبة امامها.

بدا لها مختلفا هذه المرة، انه الآن اكثر طولاً واكثر تمدناً، واعتبرت ان هذا التحول كان بسبب الملابس التى يرتديها. قميص بيج من الحرير، رابطة عنق بلون ازرق سماوى معقودة بشكل رائع، وبدلة من الخمل الكحلى الغامق ذات تفصيل جميل جدا.

وتحت هذا الغلاف المطمئن، احست بالطبيعة الحقيقية لمحدثها. بدائية بركانية وخطرة... ولا تزال تجهل من هو.

www.liilas.com

- شكراً، ضعها هنا.

قالتها بلهجة آمرة وهى تشير باستخفاف الى مكان قرب الباب.

ولم تشأ ان تأخذ منه الحقيبة خوفاً من ان تسقط عنها منشفة الحمام. رفع حاجبيه ليظهر تعابيره المندهشة والساخرة فى نفس الوقت.

- لا تحاولى ان تجعلينى أصدق بان سقوط المنشفة سيضايقك. فانا لا انتظر منك هذا الاحتشام المفتعل.

فى هذه اللحظة، فهمت ديللى انه قرأ قصائد رايس والاهداء. لكن هذا لا يفسر هذا السلوك العدوانى تجاهها.

«على كل حال، ان اخلاقياتى لا تهمه، ولن احنى رأسى لافصح عن براءتى وهو الآخر لا يملك قلب طفل بريء».

- أنا لا اسمح لأحد بأن يحاكم حشمتى، حقيقية كانت أم مفتعلة.

- فى هذه الحالة كان عليك الا تفتحى الباب لأى كان.

- كن اكيداً، لو اننى عرفت الذى خلف الباب لما فتحت، لكننى ظننت انها ارنستين، والآن ضع الحقيبة وانسحب فوراً. ارجوك.

ولكى يجيب تقدم اكثر داخل الغرفة ووضع الحقيبة على السجادة ولم يتعجل الرحيل كما توقعت، بل على العكس تفحص الغرفة بعناية وبتباطؤ مقصود، تاركاً نظره ينسحب على السرير باصرار مهين.

واخيراً عاد بنظره وبكل تمهل الى ديللى.

- تاكدت الآن ان لديك احساساً مسبقاً بانك هنا فى منزلك.

- هذا طبيعى جداً، لقد دعيت إلى هنا واعتقد أننى سأمضى عدة اسابيع.

- قد تغيرين رأيك، فالحياة هنا تجرى بايقاع بطيء. ولا يوجد فى القصر ما يرضى اهتمامات فتاة مثلك.

- كيف تعرف أى نوع من الاشخاص اكون؟ اتيت إلى هنا للعمل وليس للمتعة، والآن ارجوك، اتركنى وحدى...

- كما تريدين.

هز كتفيه واتجه نحو الباب وقبل ان يغادرها القى عليها نظرة اخيرة، نظرة احتقار.

- نحن هنا... نرتدى ثيابنا من اجل العشاء.

اعلن ذلك بصوت ساخر ثم اغلق الباب وابتعد بهدوء.

جلست ديللى على حافة السرير مرهقة من ضغط اللحظات الأخيرة. انه يرتدى هذه الملابس للعشاء اذن. اى سيكون على طاولة السيدة دوبريان انه إنسان لا يحتمل!

توجهت الى حقيبتها وهى لاتزال ترتجف وسحبت منها الفستان

www.liilas.com
لؤلؤة المحيط

المخملى الاخضر الغامق الذى لم يتحمل عناء السفر كما حصل لديللى.

اشترت ادوات التجميل هذه قبل ان تغادر لندن.

وفى لحظة انفعال جنونية لبست قميصا ضيقاً باكمام طويلة تنتهى بدانتيل وتنورة واسعة، مشطت شعرها لتزيل عنه آثار البلل وتركته يتساقط بحرية على كتفيها. وعندما فكرت بالمرأة التى اشتهرت بجمالها الاخاذ، وضعت بعض مواد التجميل على وجهها وعينيها بعناية لتتلاءم مع ملابسها، وبينما كانت تخطط شفتيها بالأحمر وتفكر بذلك الرجل الذى اعترض طريقها من حيث لاتدرى قرعت ارنستين على الباب. وكانت ديللى قد اعادت تنظيم غرفتها، ولبست الكلسات الانيقة والحذاء البراق. شع وجه ارنستين بابتسامة مازحة عندما رأت ديللى جاهزة للعشاء.

هتفت وهى تصفق بيديها:

- يا لجمال الآنسة. السيد راوول سيسقط من الصدمة

السيد راوول. هذا اذن اسمه، ولكن من هو؟

لؤلؤة المحيط

٢ ـ لقاء مرتقب

الصالون الواسع اثار اعجاب ديللى كثيراً. لاحظت بعض القطع المرصعة الرائعة فى تناغم دقيق، ودارت نصف دورة حول المدفأة الأثرية. الأرائك والمقاعد توحى براحة حقيقية وتنم عن ذوق رفيع، اللون الأحمر الغامق يسيطر على السجاد الشرقى القديم المفروش على الأرض الخشبية اللامعة، وعلى الجدار الخاص بالمدفأة وضعت اضاءة داخلية، وبالتأكيد فان الحجارة المجلوّة التى كان لها بياض الكلس، ساهمت فى اضفاء جو مشبع بالتهوية على هذا الصالون. كما علق عدد من اللوحات على بقية الجدران، ظنت ديللى انها تعرف واحدة لجوجان، ورجل الجمارك لروسو واخرى لمودليانى، وتملكتها الرغبة بتفحص كل قطعة اثاث عن قرب، كل لوحة وكل كتاب على حدة. ولكن ارنستين قطعت عليها تأملها.

- السيدة دوبريان تنتظرك، التحقى بها قرب المدفأة يا آنسة.

خرجت ارنستين بعد أن اغلقت الباب بهدوء تاركة ديللى وحدها مع

www.liilas.com

السيدة دوبريان. وتقدمت ديللى بخجل، بخطوات مترددة نحو المدفأة، وتوقفت فى منتصف المسافة. لم يكن هناك احد.

- تقدمى الىّ يا عزيزتى.

قفزت ديللى خائفة، اذن السيدة العجوز كانت هنا، لا شك انها مسترخية على اريكة كبيرة بحيث لا ترى الا من أعلى المسند.

- تعالى دليلة، لا تكونى خجولة، وسترين اننى لست مفترسة.

كان الصوت عميقاً دافئاً حانياً، ونادراً ما سمعت أحداً يناديها باسمها الحقيقى دليلة، ولم تسمعه بهذا الجمال من قبل.

تقدمت بخطوات ثقيلة كتمتها السجادة السميكة، وتوقفت امام اوجينى دوبريان. كما تخيلتها كانت جالسة مقابل المدفأة، غارقة فى الأريكة التى جعلتها تظهر اكثر رقة واحساساً مما هى عليه فى الحقيقة.

ترددت ديللى، كان الصوت ودوداً ولكن قد يكون هذا ضرباً من خيالها لأن السيدة دوبريان بقيت تماماً بلا حراك، ولم تنهض لاستقبالها كما توقعت، بل لم تلتفت حتى بوجهها نحو ضيفتها. رأسها كان ثقيلاً منحنيا إلى الأمام، ويداها الشفافتان البارزتا العروق موضوعتان على الركبتين.

- دليلة هل أنت هنا؟

احست ديللى بصدمة كبيرة، الآن فهمت ان السيدة كانت عمياء.

ولو لم تكن خطوبتها مع رايس ومختلقة من قبل عمها لكانت عرفت وفهمت تماما انها لم تعرف الا القليل عن رايس ولا شىء عن اسرته.

- هل انت دليلة؟

أسرعت ديللى وركعت قرب رجلى السيدة، معقودة اللسان، لا تقوى على قول كلمة واحدة. وضعت اصابعها المرتجفة بالقرب من اصابع مضيفتها وبعد لحظة تماسكت نفسها وأجابت بنبرة مترددة:

- نعم يا سيدتى، انا ديللى.

رفعت السيدة يدها ومدتها باتجاهها وكأنها تريد ان تزيح الستارة التى تمنعها من رؤية ديللى.

- انا سعيدة جداً يا عزيزتى، ولا يمكنك ان تعرفى مقدار السعادة التى تهبيننى اياها.

اتجهت بعينيها المطفأتين نحو ديللى التى لم تتصور انها قد ترى فى حياتها جمالاً كهذا، اوجينى دوبريان الآن امرأة عجوز ولابد انها انجبت ابنها رايس فى سن متقدمة.

شعر شديد البياض كالثلج، وجه مخطط ببعض التجاعيد، بشرة

www.liilas.com

بلون الرماد القديم مشدودة على هيكل شديد الدقة. الجسم بكامله في انسجام وتناسق لا يقارن، وجنتان عاليتان، ذقن مستقيمة، انف مرسوم بشكل حسن، واذنان ناعمتان تعطيان وجهها نوعاً من الارستقراطية. الفم لا يزال شابا بشكل غريب نسبة إلى امرأة بهذه السن مما ذكر ديللى بفم آخر، دون أن تستطيع تحديده.

- كانت رغبتى قوية فى لقائك يا دليلة. (قالتها بابتسامة كشفت عن أسنان براقة جميلة). اهلا وسهلا بك فى مونبيردو.

- شرفنى ان أتلقى دعوتك ياسيدتى، وآمل ان احظى باستقبالك لى مدة شهر أو اثنين.

- بالتاكيد، ولكنى آمل أن تبقى اكثر... وان كان هذا الطلب سابقاً لأوانه.

وشاح من الحزن غطى معالم السيدة، وهذا ما اقلق ديللى. وشعرت بالخجل من هذا الدور الذى جاءت تمثله، ولكى تخفى خجلها ارغمت نفسها ان تتابع الحوار مشيرة إلى العمل الذى جاءت من أجله:

- يجب قبل كل شىء ان احدد كمية الوثائق التى سأعمل عليها.

عادت الابتسامة الى وجه السيدة وقالت:

- جبال من الأوراق، طيلة هذه السنوات التى كان فيها رايس هنا وهناك إما فى الفنادق او عند الاصدقاء، ولكن ليس فى بيته على الاطلاق، فقد قضى معظم حياته جوالاً. كان يرسل الينا الوثائق لكى

نحفظها له، كان يلزمه حقيبتان، واحدة للملابس وأخرى للمخطوطات. يا للمسكين لقد عاش حياة المتشردين.

تنهدت السيدة بعمق.

قاطعتها ديللى:

- انا حزينة...

- لا تقولى اكثر من ذلك. انه حزن مشترك، ولكنى أعلم انك تتألمين اكثر منى. لقد مر وقت طويل لم يأت فيه إلى هنا.

- كان يتحدث دائما عن اوفيرن وعن رغبته فى زيارتك.

- لقد سعدنا جداً عندما عرفنا بخطوبتكما، وفكرنا بانه لربما..

وتوقفت السيدة عن الحديث فقد انعقد لسانها من الانفعال.

- انا متفائلة من سير الأمور.

ديللى تكذب بلهجة تأمل أن تكون مقنعة.

- والآن يجب أن نعرف كل شىء عنك.

تنهدت السيدة واستندت إلى الخلف:

- رايس لم يقل لنا أى شىء اطلاقاً، انه نادراً ما كان يكتب الينا.

- كان دائماً يريد أن يكتب اليك شخصياً (هذه كذبة اخرى) لكن

www.liilas.com

الوثائق التى كان يرسلها كانت بدون شك بالنسبة اليه وسيلة للتواصل معك.

- نادراً ما تحدث إلى عن نفسه (وتنهدت بعمق اكثر) والصحف لم تكن دائماً... مداحة، لكنها على الأقل أوضحت لنا شيئاً وإن كان يسيراً عن حياته وكتبه.

- كان فى الحقيقة يحبك كثيراً.

ابتسامة صوفية غامضة اضاءت وجه السيدة وكأن صورة شيء جميل اخترقت هذا الحاجز من عماها. وبالحساسية الخاصة بالعميان، شعرت بالتوتر الذى اصاب ديللى وأرادت ان تعيد اليها الطمأنينة.

- هيا يا عزيزتى لا تشعرى بالانزعاج معى، نحن نعرف الحياة.

- لكنى لست...

وعضت ديللى شفتيها، ولماذا تقول للسيدة بأن رايس استلهم عشرات النساء من كل شكل ولون والمتبدلات مع كل مدينة ومع كل فصل ومع كل مزاج ؟ نساء اثرن فيه الواحدة تلو الأخرى، حتى الأخيرة التى كانت من ماساشوسيتس. فهذا لا يمكن الا ان يزيد جرحها الماً. وهى تألمت بما فيه الكفاية. رفعت رأسها وقالت بصوت واضح:

- اؤكد لك اننى لست متضايقة.

وبدأت السيدة تداعب بحركة لا شعورية العقد الذى يحيط عنقها

وكانها غرقت فى احلامها بعيداً عن الواقع.

- أنا ايضاً كنت شابة واتذكر ذلك.

خيم صمت محير، وحاولت ديللى قدر استطاعتها أن تجد الكلمات الملائمة للموقف.

- كان رايس يملك موهبة كبيرة.

- نحن عائلة فن، والده كان من بلاد الغال والغاليّون يجرى الشعر فى دمهم وأجدادى كانوا أهل أدب. هذه وراثة وانا فخورة بها.

- رايس كان ايضاً فخوراً بهذا.

هذا ما عبرت عنه ديللى بصدق.

- والآن حدثينى عنك، اروى كل شيء بالتفصيل، أود أن اعرف كل شيء.

- ليس هناك الشيء الكثير.

توقفت ديللى عن الكلام، وفرحت عندما فتح الباب، ولكن فرحتها لم تدم طويلاً. الرجل الذى دعته ارنستين راوول كان يراقب المشهد وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة، وبعد لحظة، اقترب من الموقد.

راوول. ديللى كانت قد قرأت فى مكان ما لاتذكره الآن ان هذا الاسم ماخوذ من كلمة ثعلب. وهذا مطابق له تماماً لأنه يمتلك شيئاً من صفات حيوان جائع قاس. ولكن من هو هذا الرجل؟

www.liilas.com

ستعرف ذلك حالاً لأنه انحنى أمام السيدة باحترام وقال لها بلطف:

- امى، يجب الا تتركى الآنسة ايفريت تتعبك.

ابنها، اخو رايس، لكن رايس لم يكن له أخ. ثم تذكرت ان اوجينى دوبريان كانت قد تخلت عن ابن عندما هجرت زوجها الأول لتلتحق بوالد رايس.

- لكنها لا تتعبنى، راوول، أنسيت طريقة السلوك الحسن مع الاخرين؟ ولا يجب أن تنادى خطيبة اخيك بالآنسة ايفريت، ألم تتعارفا أثناء عودتكما من المحطة؟ اود أن تناديها دليلة.

انتصب راوول بقامته الطويلة وقطب عينيه.

- اذن دليلة.

ولفظها بلهجة سيئة.

- راوول كف عن مداعباتك، وقم جهز لنا كأساً من الشراب، ومن الأفضل أن تناديها نحن أيضاً بديللى. عزيزتى هل تأخذين انت أيضاً كأساً من الشراب؟

- بكل سرور، شكرا سيدتى.

أرادت ديللى أن تصفع هذا الوقح على الفور، ولكن لحسن حظه كانت السيدة دوبريان موجودة. بدأت تحرك السائل الذى فى الكأس

محاولة استعادة هدوئها من جديد. وعندما رفعت رأسها التقت نظراتها بنظرات راوول الذى كان لا يخفى احتقاره. وكأن السيدة دوبريان أحست بالجو المتوتر فتدخلت بصوت لطيف:

- لدينا الكثير مما نود معرفته، اليس كذلك يا راوول؟ ديللى حدثينا عنك.

اجابت وهى تزداد حيرة:

- ليس هناك الكثير مما يقال.

- نحن نعرف انك تعملين فى دار النشر مع عمك، وتعملين بشكل ما فى تسيير اعمال أهل الأدب كما فهمت من رايس، وهكذا تقابلتما، ولكننا نجهل كل شىء عنك.

www.liilas.com

تمتم راوول:

- وفى الوقت نفسه نحن نعرف اشياء كثيرة.

ولكنها تجاهلته وكأنها لم تسمعه.

- اعيش مع عمتى وعمى اللذين احتضناني بعد وفاة أهلى.

- كم عمرك؟ فأنا لا استطيع ان اتكهن بهذه الأشياء.

- اربع وعشرون سنة.

- عظيم، فالحياة مازالت امامك متسعة. يجب ان تقصى على كل

شيء، من تشبهين، كيف تمشين، ماذا تلبسين...

قرع الباب من جديد.

- العشاء جاهز سيدتي.

نهضت السيدة بحذر ومدت يدها باتجاه راوول الذي نهض على الفور وأمسكها والتفت الى ديللى.

- نحن عادة لا نتعشى فى صالة الطعام الكبيرة لأنها واسعة جداً بالنسبة الينا، فعندما نكون شخصين أو ثلاثة نستعمل غرفة صغيرة ولكنها جذابة.

قالت ديللى وهى تنهض بدورها:

- سأموت من الجوع.

- هذا من حسن حظك، لأن وجبتنا الرئيسية هى وجبة العشاء، وقد اكتسبنا هذه العادة من البلاد الأخرى.

اجتازت السيدة دوبريان الصالة مستندة الى يد ابنها وبخطوات صغيرة.

- ارجو ألا تلومينى لأننى كنت السبب فى أن لا يمد لك راوول ذراعه لأنك أنت المدعوة. ولكن للأسف للضرورة أحكام كما تعلمين.

أكدت ديللى بابتسامة:

- لقد أصبحت فتاة شابة.

- حتى الفتيات الشابات بحاجة أحياناً للاعتماد على ذراع قوية. فى زمانى..

وتركت الجملة معلقة. كانوا قد وصلوا إلى الغرفة الصغيرة. كيف يمكن أن تكون صالة الطعام الكبيرة؟ تساءلت ديللى وهى مندهشة، فعلى الجدران عدة لوحات وسجاد متعدد الألوان من الطراز المعاصر. وهنا ايضا ارادت أن تتفحص كل قطعة على حدة. الطاولة مصنوعة من خشب المنطقة والكراسى التى تحيطها مصنوعة بشكل رائع بالاضافة إلى كونها مريحة جداً.

دخلت الخادمة حاملة طبق الحساء الشهى، وعرفت ديللى ان الخادمة من سان جوست وتدعى هيلويس وقد تدربت على يد ارنستين. استمر الحديث بين ديللى وأوجينى دوبريان طيلة فترة العشاء دون توقف والتى تعاقبت فيها أنواع الطعام. سمك باللوز، فخذ خاروف بالجبن المفروم والصلصة. سلطة العدس الأخضر، عدة أنواع من اجبان المنطقة، وكان هذا اكتشافاً بالنسبة إلى ديللى التى لا تعرف منها إلا نوعاً واحداً، توت برى بالكريما.

ظل راوول صامتاً، يبدو انه قرر ألا يتعرف بديللى وهذا يناسبها فى الوقت الراهن، على عكس السيدة دوبريان التى لم تتوقف عن الثرثرة ومن المؤكد انها كانت سعيدة بوجود شخص جديد. اما ديللى

www.liilas.com

فقد أثنت على انواع الطعام الطيبة، وفى الوقت نفسه كانت مسرورة باصغائها إلى الطرائف التى تمتلك منها مضيفتها مجموعة لا تحصى. وتجنبت بحذر شديد ان تنظر إلى الطرف الآخر من الطاولة خوفا من أن تقع عيناها على النظرة العابسة الوقحة التى تعودت ان تخافها.

- عزيزتى، تتركيننى أتحدث عنا، عن القصر، عن الفن، لكنى احب ان اسمعك أنت.

ثم مدت السيدة اصابعها لتحدد موضع فنجان قهوتها. «انها تتدبر امورها لوحدها بروعة متناهية حتى اننا ننسى انها عمياء».

قالت السيدة بصوت حازم:

- والآن لنتحدث عنك. ويجب ان تسامحى فضول سيدة عجوز مثلى.

ووجدت ديللى صعوبة كبيرة فى أن تمهلها قليلاً.

تساءلت ديللى بضحكة فيها شىء من الخوف، آملة أن لا تأخذ الأسئلة طابعاً ذاتياً أكثر من اللازم:

- ماذا تودين أن تعرفى؟

- ابدئى بوصف نفسك.

ارتدى فستاناً اخضر. طويلة القامة، شعرى احمر.

صرخت السيدة بنفاد صبر:

- هذا ليس كافياً، إنه وصف عام. كانت لدى فى باريس خادمة تتطابق مع هذا الوصف، انت تقليدية اكثر من اللازم. ولن تصبحى كاتبة جيدة على الاطلاق، اليس كذلك يا راوول؟

اضافت:

- اننى نحيلة إلى حد ما.

- لكن صوتك ليس رفيعاً، وليس كصوت الخادمة. أود أن اعرف اكثر، ولكنى الاحظ انك لا ترغبين فى مساعدتى.

ثم التفتت الى نهاية الطاولة حيث يجلس راوول.

- راوول، انا مضطرة ان التجىء اليك، ستكون أنت عينى، صفها لى. انا متاكدة من انها تستطيع ذلك اذا بذلت شيئاً من المجهود.

قالت هذه الملاحظة بنبرة موضوعية. لكن كل تعابيرها كانت تترجم مقداراً من الضيق.

- راوول ماهو لون شعرها؟

حدجها بنظرة متمهلة ثم ركز عينيه عليها بطريقة وقحة بعد ان استند بارتياح على مقعده مما جعل ديللى ترتبك وتفقد راحتها اكثر فاكثر.

- الشعر، لنقل اشقر غامق، لوحة اصلية لتيتيان، ومن المؤكد ان هذا لونه الطبيعى، يبلغ طوله الكتفين.

www.liilas.com

حاولت ديللى أن تكون صلبة وألا تبدى ارتباكها.

- البشرة ناعمة جداً، تكاد تكون شفافة، تذكر بالشامواه.

صعد الدم إلى وجهها وأحست بانها لا يمكن أن تكره أى شخص فى العالم كما كرهته، أما السيدة فقد رسمت على وجهها ابتسامة رضى وقالت:

- حتى الآن، الوصف ملائم لصوتها.

- العيون رمادية، رمادى شاحب بعض الشىء، كان يجب أن تكون على غير هذا اللون لتتلاءم مع لون الشعر. أما اتساعها فيضفى عليها مظهراً مضللاً.

«مضللاً!» شدت على قبضتيها وشحب لونها.

- الأنف عادى.

وهنا أرادت أن تخنقه حتى لا يكمل.

- والفم يا راوول، كيف هو ثغرها؟

- كبير، ولو كنت سأرسمه، لبدأت بمسح حمرة الشفاه عنه، لأن هذا الأحمر يعطيه شيئاً من...

- الابتذال؟

قاطعته ديللى، غير قادرة على كبح ثورتها.

- أنت التى قلتها ولست انا.

كان صوته ساخراً بوضوح شديد، وكان اضطرابها كان سبباً فى انتعاشه.

- راوول، يا لك من غبى، النساء بحاجة لهذا التكلف بعض الشىء، تابع الذقن من فضلك، بدأت اراها الآن...

- الذقن؟ انها الآن تميل الى الأمام لأنها فى حالة سخط واضطراب، ولكنها بشكل اجمالى على جانب من الأهمية، الهيكل العام دقيق وأنيق والرقبة طويلة، الاسنان صغيرة ومرصوفة بشكل جيد.

- تابع يا راوول صف لى الباقى، كل الباقى.

- الباقى لا حاجة للتوقف عنده.

رجتها ديللى بيأس:

- ارجوك يا سيدة دوبريان.

- سامحينى يا عزيزتى، نتوقف هنا اذا كنت مصرة على ذلك.

قالت ذلك بصوت ناعم لكن خيبة الأمل اظهرت تجاعيد وجهها اكثر. ترددت ديللى لحظة قبل ان تعود لترضى والدة رايس:

- لا، لنتابع. لدى انطباع بأننى فراشة معلقة على الحائط.

- لكن فراشة جميلة حسبما اسمع.

www.liilas.com

ولاحظت ان السيدة استعادت مرحها من جديد.

- ومن بعد اذنك، راوول سيتابع.

- قامتها طويلة، طويلة جداً حسب ذوقى.

«بالفعل انها لخسارة»، قالت لنفسها وهى تدير وجهها نحوه. والآن فهمت انه حتى هذه اللحظة كان يتحاشى نظرتها تماماً.

انها أنحف من أن تكون واحدة من شخصيات لوحات تيتيان، دون أن نتحدث عن روبنس، وبتعابير وجهها تجعلك بالأحرى تفكرين بلوحات مودليانى، ويمكن أن تحل محلها، لكنها ربما أكثر، كيف اقول... مغرية، متحدية.

اجبرت ديللى نفسها على الابتسام، انه هو الذى يظهر نفسه مغرياً ومتحدياً. ولكنها قررت ألاّ تبدى رد فعل، مع انها تساءلت لماذا يكرهها راوول الى هذا الحد؟

- ولننتقل الآن الى يديها، الأظافر تدل على صحة جيدة ومطلية بشكل خفيف. الأصابع نحيفة طويلة، لكنها ليست رشيقة بما فيه الكفاية بالنسبة لطبيعة فتية، وليست مستديرة كما يجب بالنسبة لعقل عملى، تكشف انفعالاتها. لقد تعلمت ان تتحكم فى حركات ذقنها وفمها ولكن ليس بحركات يديها.

وكانت ديللى تلعب بعصبية بقطعة خبز، فتوقفت فوراً.

- الفستان، اختارته بمهارة، مخمل اخضر، لطيف جداً، شكل الأكمام من العصور الوسطى مع نهايات من الدانتيل. انها لبارعة جداً لمسة البراءة هذه...

قالت فى سرها: «ليذهب هذا الوقح الى الجحيم بألفاظه».

- فتحة الصدر كبيرة وعميقة مفصلة على شكل مربع وهى اقل براءة من الأكمام، العنق شديد البياض لا يحمل عقدا، والتنورة واسعة فيها كثيرمن الأنوثة مع حذاء بكعب عال.

ابتسمت السيدة العجوز برضى.

- القميص ضيق جداً على الصدر.

علت الحمرة وجه ديللى، وومضت عيناها غضباً.

-يجب أن نضيف بأنها تترفز بسرعة، يا له من طبع.

لفظ هذه الجملة الأخيرة بصوت خفيف ولكنه يوحى بأنه كان يغلى غضباً هو الآخر وبحركة مخيفة اطفأ سيكارته فى المنفضة.

صرخت السيدة وهى تصفق:

- رائع. فتاة جميلة تماماً كما تخيلتها و كما يتمناها قلبى.

- ليست جميلة تماماً.

بهذه الملحوظة قاطعها ابنها بلهجة صارمة.

www.liilas.com

- راوول، ارجوك.

قاطعته السيدة العجوز دون أن تخفى انفعالاتها تجاهه، ثم التفتت الى ديللى.

- ارجو أن تسامحى راوول يا عزيزتى، فإن له احياناً بعض السلوك الخشن، لكن بالنسبة الى فأنت كنّتى...

التفتت ديللى الى راوول ورمته بنظرة قاتلة:

- شكراً يا سيدتى، وهذا ما يشرفنى.

- أترى يا راوول كم هى عاقلة. ديللى انك من العائلة، تجاهلى ابنى تماماً، يسره أن يظهر بمظهر الوقح، ولكنه من المؤكد انسان مستقيم وشريف ولا يمكن أن يكذب أبداً. لقد احببت الوصف الذى رسمه لى عنك وارجو منك أن تنادينى اوجينى.

وبشكل واضح كانت السيدة مسرورة جداً.

اللؤلؤة المحيط

٣ - نزهة صباحية

شعاع من الشمس أيقظ ديللى فى صباح اليوم التالى، فاستدارت وغرست رأسها فى المخدة محاولة النوم من جديد، ولكنها لم تستطع. فغادرت السرير الناعم متأسفة، وارتدت روب دوشامبر من المخمل الأحمر، ثم اقتربت من النافذة. لقد امطرت فى الليل وعادت إلى الجو شفافيته، النهار سيكون جميلاً، مثالياً لاكتشاف الضواحى، لكن ديللى لم تنس انها موجودة هنا فى مونبيردو فى مهمة عمل.

وما كاد النهار يطلع حتى تساءلت ديللى اذا كان استيقظ أحد فى القصر. الجواب اتاها من الباحة، حيث شاهدت رجلاً يمر بثياب العمل. احدى ذراعيه ملفوفة بقطعة قماش، وتحت الأخرى حمل أدوات متنوعة للحديقة. وباليد السليمة بدأ يزيح القش والقصب الذى كان يحمى شجيرات الورد، مما يبشر بقدوم الصيف.

نشفت ديللى نفسها بعدما اغتسلت بسرعة ثم فتحت الخزانة التى كانت قد رتبت فيها ثيابها مساء البارحة قبل أن تنام، وأخرجت منها

تنورة خضراء من المخمل المضلع وكنزة سميكة من الصوف الأصفر. ارتدت ملابسها على مهل وتفحصت نفسها فى المرآة الكبيرة الموجودة جانب الخزانة. فالطريقة التى انتقد بها راوول شكلها اثارتها مجدداً وأعجبتها الصورة المنعكسة الآن فى المرآة وهو ما زاد من ثقتها بنفسها. وبحركة حازمة نضدت الكنزة السميكة فى الخزانة وأخرجت اخرى رقيقة جداً ولبستها. ستريه اذا كان شكلها على غير ما يرام، ولكنها فى الحقيقة عندما نظرت الى نفسها مجدداً فى المرآة شعرت بنوع من الخجل، لأن تفاصيل جسمها كانت مكشوفة جداً وكانت تحمل نوعاً من الاغراء.

وفى الصالة التقت بارنستين واقترحت عليها، لكى لا تغير عادات القصر، أن تتناول افطارها فيما بعد بصحبة السيدة دوبريان.

– بشكل عام السيدة لا تنزل الا فى وقت متأخر، يمكنك أن تتناولى طعامك الآن، كما يفعل السيد راوول احياناً.

– هل استطيع ان اتناول طعامى فى المطبخ؟ لأننى اود أن اراه.

سألت ارنستين بدهشة:

– المطبخ؟ بالتأكيد، سأصحبك إليه على الفور يا آنستى ولكنك ستتناولين طعامك فى الغرفة الصغيرة المخصصة لذلك.

المطبخ كان واسعاً كما توقعت يحتوى على مجموعات من الأدوات

المطبخية النحاسية اللامعة المعلقة على الجدار على شكل خطوط جميلة متناسقة، وفى آخره مدفأة كبيرة جداً تتسع لشواء بقرة كاملة. وفى الوسط طاولة اثرية، والى اليسار فرن مع مجموعة الأدوات المطبخية الحديثة. والى اليمين مجموعة من الخزائن والأبواب تقود إلى القبو.

كانت هناك سيدة بدينة مشغولة بتقطيع الخضار، ترتدى فستاناً قديماً اسود اللون مع مريلة بيضاء خرجت لتوها من تحت المكواة، التفتت نحو ديللى بوجه عابس.

– اقدم لك مارى آنج يا آنسة، انها ممتزة جداً بطبخها.

وجهت اليها ديللى ابتسامة.

– يمكنك ان تطمئنى يا مارى آنج فأنا سيئة من هذه الناحية، ولكنى اتذوق الطبخ الجيد ولم احضر إلى هنا إلا لأهنئك.

اشرق وجه مارى آنج العابس بعد ان خرجت ديللى وارنستين.

– حتى انا شخصياً، لا اجرؤ أن اتدخل فى وجبات الطعام، فهذه الحقوق محفوظة لها فقط.

سألت ديللى وهى تتناول طعامها:

– من هو هذا الرجل الذى شاهدته فى الحديقة؟

www.liilas.com

انه غاسبار، السائق والبستانى الذى كان على السيد راوول ان يحدثك عنه. لقد وقع له حادث فى اللحظة التى كان عليه فيها أن يأتى إلى المحطة لاستقبالك. ولحسن الحظ لم تكن النتائج خطيرة، ولذلك توجب على السيد راوول أن يقود الرينو القديمة التى لا يحب قيادتها، لأن امتعتك لا تتسع لها سيارته الخاصة.

وبعد أن انهت طعام الافطار عادت إلى المهمة التى اتت من اجلها.

– السيد رايس ارسل الى القصر فى بحر هذه السنة مجموعة من الوثائق والمخطوطات. هل انت على علم بذلك؟

اجابت ارنستين باشارة من رأسها وألقت على ديللى نظرة حادة. «انها هى الأخرى قد قرأت كتاب رايس الأخير» قالت لنفسها «هذا مؤكد، فهى التى تقرأ بصوت مسموع للسيدة دوبريان».

– أحب ان اطلع عليها، هل يمكنك أن تقولى لى أين هى موجودة؟

– لا يا آنسة، انا آسفة لا يمكن، فالمفتاح يحتفظ به السيد راوول.

– وأين يمكننى أن اجد السيد راوول؟

– لا أعرف تماماً متى يعود، لقد ذهب باكراً هذا الصباح بسيارته.

احست ديللى بالسخط يسيطر عليها ثانية، راوول يعرف تماماً انها اتت الى هنا لتتفحص أوراق رايس، كان بامكانه على الأقل ان يترك المفتاح تحت تصرفها...

الطقس جميل، ولماذا انتظر شخصاً قد لايعود الا فى المساء؟ ولماذا لا انسى قليلاً العمل واستغل هذا اليوم للتنزه؟... صعدت الى غرفتها، انتعلت حذاء سهلاً للمشى ونزلت الى الباحة. الشمس كانت اكثر حرارة من البارحة على عكس ما توقعت فى الصباح، وكذلك الكتلة المظلمة للقصر بدت اكثر بهجة من المعتاد. شعرت ديللى بأنها استعادت مرحها ونسيت الم رجلها. الطريق المليئة بالحصى مازالت رطبة ومليئة بأعشاش الدجاج، وعلى جانب المنحدر مازالت تجرى السواقى الصغيرة، وفى الجو زقزقة العصافير وتغريد الطيور المستمر. لقد فجروا الصخرة دون شك ليفتحوا طريقا ضيقة ترابية عند المنعطف محاطة بجدران من الكلس حيث نمت بعض النباتات و الأعشاب. ولكن هذه الطريق سيئة بعد ان حفرتها السيارات ولا تصلح للمشى الا فى الوسط، وفكرت ديللى ان تستغل النفق لتسير فيه لأن الشمس لا تدخل إليه.

وفجأة اخترق الصمت ضجيج محرك سيارة تتقدم مسرعة.

لم تعد ديللى تتذكر اذا كانت الطريق طويلة ام لا، وقررت ان تعود مسرعة علها، اذا حالفها الحظ، تستطيع ان تصل الى آخر الممر الخطر قبل وصول السيارة.

وبينما هى تسير مسرعة لم تنتبه إلى وجود حجر كبير فتعثرت به ووقعت ولوت رجلها من جديد، وسمعت تبديل سرعة السيارة مرتين

www.liilas.com

متتاليتين خلفها وعلى مقربة منها مع صوت ازير المحرك العالى. الشيء الوحيد الذى كان يمكن ان تفعله هو أنها تسلقت قاعدة جدار صخرى، وتمسكت بحزمة من الأعشاب، محاولة أن ترتفع قدر الامكان عن الطريق لتفسح مكاناً لمرور السيارة، التى مرت بأقصى سرعة، ثم توقفت فى حركة متعرجة مع فرملة صاخبة. وفى هذه اللحظة الحرجة تزحلقت وسقطت على الأرض ساحبة معها التراب والحصى. خفق قلبها وبصعوبة استعادت انفاسها وهى غير مصدقة انها نجت من الموت. كانت مستلقية على ظهرها، التورة فوق الركبتين، ألقت نظرة على السيارة التى كادت تقتلها، متوقعة أن ترى الرينو، ولكنها رأت سيارة سبور، قبل أن ينزل السائق عرفت انه سيكون راوول. هرع إليها بوجه يقطر غضباً.

- مجنونة . ماذا تفعلين هنا؟ كنت ستقتلين نفسك.

انتصب امامها ولكنه لم يبد أى حركة لمساعدتها على الإطلاق.

صرخت :

- انت الذى تقود كالمجنون.

وحاولت أن تنفض الحصى التى انزلقت تحت ثيابها الممزقة، وتابعت بالنبرة ذاتها:

- مجنون! أين يمكننى، حسب رأيك، أن احتمى عندما تظهر كالصاروخ؟

- كان عليك أن تتعلمى كيف تستخدمين عينيك.

وباشارة من يده دلها على صدع فى الجدار الصخرى على الطرف الآخر من الطريق يختفى وراء حزمة من النباتات.

- هنا يوجد طريق طويلة يعرف الانسان النبيه أن يحتمى بها لدى سماعه صوت اقتراب سيارة.

نهضت ديللى وهى ما تزال تضطرب من فكرة ما كان سيحدث لها، وتفحصت نفسها فى حركة لا إرادية. تمزقت تنورتها المليئة بالوحل، أما معطفها الوحيد الذى أحضرته معها من انكلترا فكان سليماً من حسن الحظ، أما فردة حذائها فقد سقطت من رجلها أثناء تعلّقها بالجدار وراحت ضحية تحت عجلات السيارة. اخذتها ووضعتها أمامه.

- هل تجد ان هذا كل ما يقال؟ كان يمكن أن اكون انا مكان الحذاء.

-على كل حال الخسارة ليست فادحة، وانا سعيد بأن هذا اقصى ما حصل لأن هذا الحادث كان سيسبب لى ازعاجات كثيرة لا أدرى نتائجها. تعالى، سأوصلك الى القصر. يبدو لى، أنك تسرّين بلوى رجلك...

وهكذا شهد سقوطها للمرة الثانية، بعد أن رأى سقوطها البارحة ليلاً. تقدم وأخذها من ذراعها، ابتعدت كالملسوعة ومشت نحو السيارة وهى تعرج فى بطء «انه لمن الصعب أن نبدو محترمين بفردة حذاء واحدة». هذا ما قالته فى نفسها.

www.liilas.com

قهقه راوول ضاحكاً، وعاودها احساس البارحة بانها أهل لارتكاب جريمة. انه المسؤول وهو يسخر من حالتها انها لم تر مثل ذلك من قبل، ابداً لا يمكن أن تكره شخصاً هكذا. تركها وجلس بهدوء خلف مقود السيارة دون أن يهتم بها، وانتظر أن تلحق به وتفتح باب السيارة لنفسها. وقبل أن تجلس ادار المحرك، ولم تكد تغلق الباب حتى انطلق بكل قوته وطارت السيارة مما جعل ديللى ترتمى على المقعد بعنف.

- انت تلعب لعبة الذكر المتسلط الواثق من نفسه، هل تعتقد انك دائماً على حق؟

-هذا صحيح جداً، انا اوافقك ولو لمرة واحدة.

اجابها وهو يتجاوز بمنتهى النظام منعطفاً صعباً مستعرضاً مهارته فى القيادة.

صرّت ديللى على أسنانها لأنها تعرف أن عليها أن تصمت الآن، وتفحصت السيارة:

سيارة سبور ماركة بورش فيها عدة سرعات ومجهزة بمقاعد عميقة لتسند الجسم، وكانت مناسبة جداً لطريقته فى القيادة.

وفى باحة القصر كان غاسبار يصلّح سيارة الرينو القديمة بيده السليمة، والغطاء مرفوع الى الأعلى. توقف راوول وخرج من السيارة دون أن يضيف أى كلمة، ثم انحنى الى داخل السيارة وأخذ حزمة

كهربائية كانت موجودة وراء مقعده وابتعد باتجاه الرينو. وفقدت ديللى صوابها من الغضب، الا يعرف كلمة اعتذار، يا له من شخص وقح. غادرت بدرها البورش واقتربت من الرجلين وهى تمسك فردة الحذاء.

نهض غاسبار ورفع قبعته احتراماً لها، قبعة قديمة من الجلد تغطى رأسه حتى اذنيه. ابتسمت له، بادلها الابتسامة والتفت نحو سيده وكأنه يسأله ماذا عليه أن يفعل، ولكن راوول لم يقل شيئاً بل انكب على العمل فوراً متابعاً تجاهله الكامل لوجود ديللى.

- يمكنك على الأقل أن تعرفنا ببعض.

- غاسبار هذه دليلة.

كانت الشتيمة مركزة وواضحة تماماً، نهض غاسبار مجدداً ورفع قبعته وثناها بعصبية بين يديه ولم يعد يعرف كيف يخفى حيرته.

- الآنسة ايفريت.

هذا ما انتهى غاسبار الى قوله.

ابتسمت له بمودة قبل أن تتوجه الى راوول.

- انا بحاجة لأن ارى الوثائق. كانت لهجتها حازمة، ولكن راوول تابع، دون اكتراث، انشغاله بتصليح السيارة.

- عفواً؟

www.liilas.com

قالها بعد فترة طويلة من الصمت.

اخرج رأسه من تحت غطاء السيارة ورمقها بنظرة ساخرة.

- منذ قليل لم اشعر انك بحاجة اليها بهذه السرعة. كانت لديك رغبة بنزهة صباحية.

- وبما انني عدت بفضلك، فأرجو أن احصل عليها.

نهض واقفاً وهز كتفيه.

- غاسبار، حاول أن تتابع العمل بدوني، سأعود بعد لحظات.

وعندما وصلا الى الصالة أسرعت ارنستين وأخذت المعطف من يدها.

- هل سررت يا آنستي بالجولة؟ عليك أن تبدلي ثيابك.

ارنستين على حق، ندمت ديللي لأنها الحت بالحصول على المفتاح. كان من الأفضل أن تغتسل أولاً وتبدل ثيابها لتعدل شكلها. ولكن راوول لم يمهلها مزيداً من الوقت حيث كان ينتظر امام باب المكتب بنفاد صبر. خلعت الفردة الثانية من حذائها والتحقت به حافية القدمين.

أدخلها وأغلق الباب وجلس خلف مكتب كبير من خشب السنديان. الجدران مغطاة بالكتب، وعلى السجادة وتحت السلم كومة كبيرة من المؤلفات. وفي زاوية من الغرفة كنبة جلدية حول طاولة منخفضة حديثة بلون أخضر رمادي.

ظلت ديللي واقفة بينما كان راوول يبحث في جارور المكتب. وفي النهاية سحب مغلفاً صغيراً واخرج منه مفتاحين، وضع واحداً في جيبه، واقترب منها وبيده الثاني.

مدت يدها، لكنه قذف بالمفتاح في الهواء ثم التقطه بمهارة.

- الا تعتقدين أنه من الأفضل أن يكون شكلك اكثر ترتيباً؟

خجلت ديللي من هذه الملاحظة بالمقدار الذي كانت خجلة فيه من حساسيتها الخاصة وردت عليه في تحدٍ:

- سأفعل ذلك عندما اريد، اعطني المفتاح.

- هل يمكنك أن تلفظي جملة لو سمحت؟

ثم ابتسم ووضع المفتاح في جيبه.

- لنبدأ بالأوامر. أولاً انت بحاجة الى حمام، ثم الى تبديل ثيابك، فأنت لست جميلة ابداً على هذا الحال.

- كما وصفت عيوبي البارحة.

كانت ديللي تشتعل غضباً ولكنها تبذل ما في وسعها لكي تكتم هذا الغضب.

- البارحة، ارتكبت اخطاء... يبدو لي.

وكانت عينا راوول مركزتين على تقاطيعها التي ابرزتها البلوزة الرقيقة.

www.liilas.com

تلاحقت أنفاس ديللى. «بماذا فكرت هذا الصباح أثناء ارتداء ملابسى؟ » قالت فى سرها وارتعشت من جراء هذه النظرات كما لو انه يمد يده ليتفحص جسدها. لم يجرؤ شخص ابداً على النظر إليها بهذه الطريقة الملحاحة. وفجأة شعرت بمرارة وقررت ألا تقاوم.

- لو تترك لى المفتاح الآن لن ازعجك بعد ذلك.

امرها بلهجة قاسية:

- عودى بعد نصف ساعة. سأكون قد انتهيت من العمل مع غاسبار وسأصحبك بنفسى الى الصالة حيث وثائق رايس.

وبعد عشرين دقيقة كانت ديللى قد اخذت حماماً وبدلت ملابسها. ارتدت سروالاً من الجينز وقميصاً قطنياً ذا مربعات صغيرة حمراء وبيضاء بأكمام طويلة وانتعلت حذاء رياضياً ولّمت شعرها المبلل وعقدته على شكل ذيل حصان. ولم تمد تمتلك شيئاً من كمال المرأة، وكما توقعت لم يكن راوول فى مكتبه بل ما زال منحنياً على محرك السيارة مع غاسبار. ولكنه كان على الأقل قد بدل ثيابه هو الآخر. ارتدى سروالاً من المخمل المضلع باللون الأزرق الفاتح وقميصاً رقيقاً بلون أزرق غامق مما ساعده على ابراز عرض كتفيه.

وعندما تقدمت نهض ومسح يديه بقطعة قماش ثم تفحصها ويداه على خصره:

- هكذا افضل، يجب أن أقرّ بذلك.

قالت بعصبية:

- يمكننى أن أقول عنك نفس الشىء.

- ولكن بعض النساء بحاجة الى بعض التحسينات اكثر من غيرهن.

كانت لهجته لاذعة كعينيه، وفكرت ديللى بأنها لن تصل الى شىء اذا ما حاولت أن تكون مثله وتجابهه واحدة بواحدة.

تابع تحديقه بنظرة باردة ساخرة. «هذا العدو مشكوك بأمره.» هذا ما فكرت به ديللى. «ولكن لابد أن لديه نقطة ضعف يمكن إيجادها واستغلالها»، وهكذا قررت أن تغير اسلوب التعامل معه.

www.liilas.com

٤ ـ الرسالة الأخيرة

كل الوثائق التى أرسلها رايس خلال السنوات الماضية كانت متراكمة ومجمعة فى غرفة من غرف أحد الأبراج الأربعة، هذا القسم من القصر حافظ على طابع القرون الوسطى لم تجر عليه أية تحسينات.

الغرفة كانت بسيطة تحتوى على بعض الكراسى الخشبية، طاولة كبيرة عليها لمبة وأكداس من الكرتون ومغلفات كبيرة.

ارتعدت ديللى عندما فكرت بالساعات الطوال التى يجب عليها أن تقضيها فى هذا المكان المظلم والجهد الكبير الذى ينتظرها.

دخل راوول وأنار الضوء الذى لا يضئ إلا جزءاً صغيراً من المكتب، حيث وضعت بعض المغلفات المغبرة التى تحمل طوابع عشرات البلدان من جميع أنحاء العالم. جلس على زاوية الطاولة وكتف يديه على صدره وتفحص المكان.

- أرى أنه يلزمك المزيد من الاضاءة.

- نعم لمبة اخرى ستكون مفيدة.

اجابت ديللى وهى تقترب ورسمت ابتسامة على شفتيها، وأضافت:

- لو سمحت.

- ستحصلين على ذلك.

- هل لديك آلة كاتبة يمكننى استخدامها؟

- سنحصل على واحدة.

كانت ديللى مأخوذة بحركة ساق راوول التى كانت تمر بالتعاقب بين الظل والنور، وهو يهـــزها على طرف الطاولة. ومن الواضح أنه لا يستعجل ذهابه، وكالمعتاد كبحت ديللى ثورتها من هذا الوضع اللامبالى وقالت بسخرية:

- هذا لطيف جداً من ناحيتك.

ظل وجهه بدون ادنى انفعال وتابع يتأملها بعينين باردتين.

قال بلهجة باردة جداً:

- هل انت بحاجة الى شىء آخر؟

- أوراق، كثير من الأوراق، أقلام، ممحاة، مصنفات، ما شابه هذه الأشياء وأيضاً اذا سمحت...

- نعم؟

- مفتاح الغرفة.

www.liilas.com

قالتها وأطرقت.

اخرج المفتاح من جيبه، مدت يدها لتأخذه، لكنه أمسكها فجأة.

- اذا سمحت.

ابتسم بسخرية.

- افضلك ايضاً بشكل آخر.

فقدت صوتها للحظة ثم ارتبكت من شدة الغضب، كيف يمكن أن يطالها بهذه السهولة؟

- ماذا تريد أن تقول؟

- عندما تتفعلين تتلاءمين مع نفسك. لكن كمخادعة... هز كتفيه والقى المفتاح باهمال على الطاولة.

- ... انت بالتأكيد كارثة.

فقدت ديللى صوابها، وبدأت تضرب الأرض برجلها من شدة الانفعال والحيرة.

- اخرج، اخرج حالاً قبل... قبل ان...

واختنقت الكلمات فى حلقها.

- هل ترين... الطبع غلب التطبع ثانية.

- آمرك أن تخرج.

- سأخرج بعد أن انتهى من قول ما لدى، وليس قبل ذلك.

- لم يكن لدينا شيء لنقوله، اتركنى وحدى.

- وحدك مع ذكرياتك أليس كذلك؟

وأشار الى الكرتون المغبر المنضد على طرف الحائط.

- ذكرياتى... كما تسميها لا تعنى سواى.

اصبح صوته اكثر قسوة شبه مهدّد، نهض واقترب منها.

- هناك اشياء لا تعرفينها. هل تفهمين يا آنسة ايفريت؟

- الى ماذا تريد أن تتوصل؟

كان قد تقدم حتى كاد يلامسها. كانت يداها نديتين.

- ما يتعلق بانتحار رايس.

تلقت الجملة كالصاعقة، فزلزل كيانها وخفق قلبها بشدة.

سألت وعلى اساريرها علامات الدهشة:

- انتحار؟

- لا تتظاهرى بالبراءة.

- لا اعرف إطلاقاً عن أى شيء تتحدث.

شحب لونها، وشعرت وكأن كابوساً يجثم على صدرها لا تستطيع

www.liilas.com

منه فكاكا، أو انها تشارك فى تمثيل مسرحية سريالية.

اخذ مغلفا من الطاولة، تعرفت ديللى الى خط رايس وطوابع الولايات المتحدة الاميركية.

- رسالته الأخيرة.

قال راوول هذه الجملة مشدداً على كل حرف فيها، وسحب من المغلف ورقة رسائل مطوية، عليها فى الأعلى طابع الفندق.

- عندما وصلت هذه الرسالة كان رايس قد مات بالفعل، ولا يُفهم منها انك لا تعرفين.

نشف حلق ديللى، فكل هذا لا صحة له ونظرت الى راوول.

- ان هذا ينقصه البرهان.

- اقرأى بنفسك.

القى الرسالة على الطاولة أمامها، وانتابتها الرغبة فى الانقضاض عليها وتمزيقها إلى ألف قطعة، وتابعت التحديق به دون حراك.

- لا؟ لا تريدين. اذا كنت تخافين من الحقيقة، سأذكّرك بها، رايس كتب هذه الرسالة بدون ادنى شك قبل تلك... تلك السهرة الأخيرة. لقد قصّ علينا كل شىء... كل شىء هنا.

«يا الهى ما الذى قصه عليهم رايس؟»، تساءلت ديللى وهى تستعيد

ذكرى الأيام الأخيرة. كم تعبت من اسلوب حياة رايس، بحثت عنه فى الحانات، فى الفنادق فى كل الأماكن التى يمكن أن يرتادها دون جدوى، كانت مفعمة بالقلق لأنها تعرف ان عمها يعتمد عليها لمنع رايس من ارتكاب الحماقات.

قالت بصوت هادىء غير مصدق:

- ماذا قال لك؟

استعاد راوول الرسالة وتصفحها سريعاً وقرأ مقطعاً.

- الله يشهد انها ستفقدنى عقلى.

- انا؟ هل يذكر اسمى؟

- ليس من الضرورى، ولكن من الواضح انك المعنية. يحدد «خطيبتى»، ويشرح كل التفاصيل الكريهة، ويحكى كيف تعذبينه كل لحظة.

- اعذبه؟

- من الواضح، انك كنت غير وفية له وبشكل حقير.

- ولكن...

بالتأكيد يعنى تلك الطالبة ذات الشعر الأسود التى كان مفتوناً بها، واحدة تدعى سالى.

صرخ قاطعاً عليها حبل أفكارها:

www.liilas.com

- لا تتكرى انك كنت معه فى شيكاغو.

- لا، لكن...

- لا تتنكرى انك كنت خطيبته.

- لا.

وشعرت بالبرودة تنساب فى عظامها، ولكنه تابع بوحشية وبلا رحمة:

- وتعتبرين ان كل شيء كان واضحاً تماماً. وأنت المذنبة.

رمى بالرسالة على الطاولة مرة ثانية باشمئزاز وتابع:

- وبعد ذلك ببضعة ايام، قتل نفسه.

- اسمعنى يا راوول، لا علاقة لى بكل ذلك، فانا متألمة جداً لكل ما حدث لرايس، لكن...

- متألمة. انت متألمة. لا أصدق ذلك، بل انا الذى اتألم من صفاقتك فى الحضور الى هنا. انت التى أحبّها، ووضع ثقته كلها بها وبالتالى دفعته الى تدمير نفسه.

ابتلعت ديللى ريقها بصعوبة، وبذلت مجهوداً يفوق طاقتها لتمسك دموعها.

- اذا كان هذا ما تظنه.

- ما أظنه لا يقبل الشك. وما تفكر به والدتى شيء آخر. لأننى لم أقل لها الحقيقة، ولكن هناك أشياء لم استطع اخفاءها عنها. ارنستين

تقرأ لها الصحف كل يوم. والصحف المحلية تحكى احياناً عن رايس.

ضغط على طرف الطاولة بيديه كأنه يريد أن يكسرها ونظر اليها.

- وخنته.

- راوول، لست أنا، عليك أن تصدقنى، العلاقة بيننا كانت صورية.

- فى الحقيقة، انها بالفعل لكذلك.

- ليس هذا ما اريد قوله، لقد توّهمنا اننا بهذه الطريقة نستطيع أن نجنبه المشاكل. أنت لا تعلم... لقد كان يجتذب المشاكل.

- الموت هو المشكلة الحاسمة، ومع الأسف لم تجنبيه اياه.

- انت لا تريد ان تفهم اليس كذلك؟ انه شخص غير مستقر، وبحاجة الى حماية من الآخرين ومن نفسه ايضاً.

- من شخص مثلك؟ انا أفضل الحماية من حية...

فقدت ديللى توازنها والتفتت نحوه بعيون تقدح شرراً، وشتمته بكل قسوة، وبعد أن خففت عن نفسها قليلاً، اضافت بهدوء.

- انت لا تعرف الحياة التى عاشها، لم تكن معه، فبأى حق تجرؤ أن تحمّلنى مسؤولية موته.

اقترب منها بوجه ملىء بالكراهية.

- نعم أحملك مسؤولية موته.

www.liilas.com

أوشكت أن تصرخ بأعلى صوتها، بأن هذا غلط، ولكنها فهمت أن الاحتجاج لا يجدى، فراوول لن يغير رأيه. ادارت وجهها بيأس وأخفته بين يديها لكى لا تريه دموعها، لقد قلب عالمها فى ساعات قليلة. وبعد لحظة تجاوزت ضعفها لكنها لم تقوَ على النظر اليه.

- اذهب.

انحنى نحوها بهدوء، سمعت أنفاسه تتصاعد وأرادت أن تهرب ولكنها كانت لا تستطيع الحركة من الخوف. ومن الخلف، طوق عنقها الرقيق.

تمتم فى اذنها:

- انت قتلته.

وازداد ضغط اصابعه تدريجياً حتى شعرت بصعوبة التقاط أنفاسها ثم أدار رأسها نحوه.

- انت قتلته، كما لو كنت تقودين السيارة بنفسك.

- لا، لم اكن ابداً...

اختنقت الكلمات فى حلقها من شدة ضغط اصابعه وشعرت بحالة من الاغماء.

تأتأت بيأس:

- أتوسل اليك.

قال وهو يتنهد بعمق:

- آه يا الهى.

وعندما ترك عنقها، ترنحت وكادت تسقط لولا انه أمسكها من كتفيها، فسقطت على صدره مرتجفة فاقدة كل قواها.

- انت قتلته. (كرر بلهجة قاسية). ولن اسامحك على ذلك ابداً.

تمتمت مرة اخرى:

- اتوسل اليك.

تجاهل رجاءها وأسندها الى المكتب.

- امنعك أن تفضى بأى كلمة تمكّن والدتى من معرفة حقيقة علاقتك برايس.

- لا افهم ما تعنى.

قالتها وهى تنظر اليه بجمود كأنها منَومة مغناطيسياً والدماء تسيل كالنار فى عروقها. هل كان ذلك بسبب الخوف ام بسبب شىء آخر؟

قال بغضب:

- لا تكذبى، انت تفهمين تماماً ما اقصده. لن اخبرك عن ردود افعالى اذا ما كشفت لوالدتى أن رايس وضع حداً لحياته بنفسه. انها امرأة عجوز وقد تحملت بما فيه الكفاية فى حياتها.

www.liilas.com

– لا يمكن أن تدعى ذلك لأنه ليس حقيقيًا، لقد مات فى حادث مأساوى.

– العبى هذا الدور أمام والدتى أو أى شخص آخر، لكن ليس أمامى، أعرف كيف عاملت رايس كما أعرف أى نوع من النساء انت. فكل البراهين هنا، فى رسالته الأخيرة وفى قصائده.

أغمضت ديللى عينيها لتهرب من نظراته المتهمة. أمسك بشعرها وأدار وجهها اليه.

قال وهو يصر على أسنانه:

– افتحى عينيك. بقيت ديللى جامدة، أما هو فقد ازداد عنفاً وغلظة وصرخ:

– أمرتك أن تفتحى عينيك، انظرى الىّ.

الألم جعلها تفتح أجفانها وشعرت بأنفاسه الحارة.

– الان اسمعينى جيداً، لن تطلعى على وثائق رايس الا فى هذه الغرفة، لا شىء يخرج منها... اكرر، لا شىء اطلاقاً الا اذا تفحصته انا شخصياً. هل تفهمين؟

– لكن فى رسالتها، والدتك قالت...

قاطعها بقسوة:

– اعرف ما قالت. اذهبى إلى الجحيم مع رسالتك. اطلب ألا يخرج شىء من هذه الغرفة يمكنه أن يجرح امى، لا شىء الا ما تقصه عليها ارنستين.

– ولكنها مع ذلك تعرف ان رايس لم يكن... لم يكن ملاكاً.

– صحيح ان رايس لم يكن ملاكاً فكتابه الأخير لا يترك مجالاً للشك فى ذلك ولكن هى تعرف هذه الحقيقة منذ سنوات وتسخر منها ولكنها تجهل ان موته كان انتحاراً.

صرخت بصوت يرتجف من اليأس والعجز عن اقناعه:

– هذا خطأ.

صرخ بازدراء:

– صحيح. اذن اقرأى هذه الرسالة.

تركها فجأة وابتعد عنها ونظراته لا تفارقها. تمسكت بالطاولة لتضمن توازنها خشية السقوط، وشعرت بأنها لا تقوى على المقاومة اكثر من ذلك، وفى كل لحظة يتزايد احساسها بأن نظرات معذبها تخترقها حتى الروح. كانت تفكر:

«لو تستطيع أن تقرأ ما فى قلبى، يا راوول، ايها الظالم. لماذا لا ترى الحقيقة فيه؟».

لم يضف أى كلمة، توجه نحو الباب وخرج دون أن يلتفت. وقعت ديللى الى الأرض وقد خارت قواها وتلاشت طاقتها على الوقوف.

www.liilas.com

٥ ـ مغامرة عابرة

فقدت ديللى إحساسها بالزمن. لم تعد تعرف اذا كان راوول قد خرج منذ ساعة، او نصف ساعة او عشر دقائق أو أكثر من ذلك او اقل.. لاتدرى، فالحالة التى عاشتها جعلتها تعوم فى ذهول أيله، رأسها يضرب بشدة، وشعور بالغثيان انتابها فأفقدها السيطرة على جسدها، ولم تعرف اذا كان ذلك بسبب برودة الارض التى لا تزال جاثية عليها ام بسبب رائحة العفونة التى تزداد شيئا فشيئاً.

وأدركت فجأة انها جائعة، وكأن كل الانفعالات تجمعت لديها فى غريزة الجوع لتعود مرة ثانية الى الواقع. «لقد استعادت الطبيعة تفوقها» قالت لنفسها.

وبعد ان نهضت أصلحت ملابسها وجلست على أحد الكراسى ومن الغريب انها شعرت بعد هذا الكابوس، وعلى عكس ما توقعت، بأنها مختلفة فهى أكثر نضجاً وأصلب معنوية، وإن كانت لاتزال تتألم من رقبتها.

وفكرت بسلسلة الحوادث التى تعرضت لها منذ مجيئها، وبهذا الوجه المتجهم الذى يعكس كراهية لا مثيل لها ولا تطاق، عندما اتهمها بمقتل أخيه من امه. «اقرأى هذه الرسالة»، هذه هى كلمات راوول الأخيرة.

بدا لها ان رايس ربما كتب هذه الرسالة بعد تلك المحاضرة التى تتذكرها جيداً، والتى كانت فيها تلك الطالبة سالى حاضرة. سالى انسانة جذابة، تعرف اليها رايس فى احدى المناقشات الأدبية وتوجه اليها بالغزل مستخدما كل جاذبيته، وبالتالى فقد تناول الثلاثة عشاءهم وطلب رايس من سالى الزواج بلهجة لا يمكن ان تؤخذ على محمل الجد. وتلقت سالى ذلك دون اكتراث لأنها لا تملك التجربة الكافية لتعرف مدى جديته، ولم تر فى ذلك الا تمهيداً لمغامرة عابرة.

وفى يوم المحاضرة الشهيرة، رايس كان قد سهر كثيراً مع سالى، تخاصما، ورغم ذلك فقد لاقت المحاضرة نجاحاً. رايس يعرف أن يكون مسلياً حتى وهو فاقد لرشدة والجمهور كان ينتظر أن يراه على ماهو عليه... ولكن طرأ ما لم يكن فى الحسبان مما قلب كل شىء رأسا على عقب. فبعد أن بدأ رايس بالحديث نهضت سالى الجالسة فى الصف الأول، وخرجت بصحبة رجل آخر. وعندما رآها رايس اضاع خط النص، وبدأ يلفظ جملا مفككة دون معنى. اخيراً كان عليه أن ينسحب من على المنصة. وكان على ديللى ان تتحمل عبء النتائج. تألم من صداع لا يحتمل وتحدث عن الانتحار عدة ايام واختفت سالى لعدة

www.liilas.com

ايام ثم التقاها فى أحد المقاهى. عادت العلاقة بينهما مرة أخرى ولكنها متوترة، وبعد اسبوع توفى.. كان يقود سيارته كالمعتاد بسرعة جنونية، وقد أضاع رشده أو انه غفا على المقود. فأحياناً كان ينام فى ظروف غير متوقعة.

على كل حال، ديللى لا تعتقد انه قتل نفسه برغبة منه.

الرسالة مكتوبة تحت تأثير الهذيان، كانت مفككة، يشير فيها الى خطيبته دون أن يسميها، ويتحدث عن خيانتها، كما يشرح تشاؤمه منها ومن الحياة. وليس من المستغرب ان يعتبرها راوول المسؤولة بعد أن قرأ الرسالة.

وضعت ديللى الرسالة وتنهدت بألم وأخذت المفتاح على أن تعود فيما بعد لتنظيف الغرفة. وستطلب من ارنستين أن تعطيها كرسياً مريحاً وسجادة لتدفىء المكان حيث ستقضى فيه الأسابيع القادمة. مهما يكن فهى على أى حال لا تستطيع أن تعمل بجدية الا مع الآلة الكاتبة. لقد وعدها راوول بذلك.

أغلقت الباب وقفلته وفكرت أن تزيته فيما بعد.

ـ آه يا آنستى كنا نتساءل إذا كنت قد نسيت أهمية الطعام، وجبتك تنتظرك.

جلست ديللى وبدأت تلتهم طعامها.

– يبدو ان الآنسة ما زالت متأثرة بالحادث، فأنا اراك شاحبة.

– لا لقد تحسنت يا أرنستين، اشكرك.

تفحصتها ارنستين بانتباه وبنظرة لا تخطىء.

– الآنسة محظوظة كونها خرجت من الحادث ببعض الرضوض فقط.

وأشارت باصابعها الى عنق ديللى مما زاد فى شحوبها واحساسها بالخزى. ولكنها، فى ذات الوقت، كانت سعيدة لأن أحداً لم يعرف ما دار بينها وبين راوول فى تلك الغرفة.

– كان على أن الح هذا الصباح لكى ترتاح آنستى، لكن من الغريب اننى لم الاحظ انك شاحبة الى هذا الحد، والسيد راوول لن يكون مسروراً اذا لم اهتم بالآنسة بشكل لائق.

– السيد يعرف اننى وقعت هذا الصباح ولم يبد أى قلق.

– مع أنه ركب سيارته مسرعاً دون أن يقول كلمة ودون ان يتناول طعام الغداء. لقد اعتقدت انه ذهب لاحضار الطبيب.

– كلا انا لست بحاجة لطبيب وهو يعرف ذلك، ولا حاجة للقلق.

– على آنستى ان تعدنى بأن ترتاح بعد تناول الغداء.

– حسناً يا ارنستين، سأفعل ذلك لاطمئنك.

هذا الوعد أفرح ارنستين كما اسعد ديللى لارغامها على الراحة.

www.liilas.com

وعندما فتحت ديللى اجفانها كان النهار يقترب من نهايته، وبما انها لم تكن معتادة أن تنام أثناء النهار فقد استيقظت بحالة من الخمول والتعب استدعت بضع دقائق لكى تتذكر اين هى موجودة. بقيت فترة طويلة فى الحمام، فهذا الصباح كان متعباً جسمانياً ونفسيا، ولكن للشباب قدرة على استعادة حيوتهم.

وحان موعد العشاء فاختارت ثوباً من الحرير الأسود البسيط.

كان الصالون ما يزال فارغاً. فاخذت كأساً من العصير، وبدأت تتفحص اللوحات المعلقة على الحائط بشغف كبير. هذه بالتأكيد لبراك، ولوحة الغروب هذه على طريقة تيرنر، وهذه يمكن أن تكون لبيكاسو فى المرحلة الزرقاء. وتمنت لو تمتلك المزيد من المعلومات عن الفن، فالطريقة التى رتبت بها اللوحات كانت ساحرة. المدارس مختلطة كالعصور ولكنها تعطى فى مجملها انطباعاً بانسجام لا مثيل له. وقالت لنفسها ان راوول هو الوحيد الذى يستطيع أن يضعها على هذا الشكل.

وتوقفت مطولاً امام رسم رائع لوجه (بورتريه). انه بدون جدال لأوجينى دوبريان فتكوين الوجه نفسه، لكن الشعر أسود والعينين براقتان. فالفنان اعاد الحياة إلى اللوحة. ولكن إلى أى تاريخ يعود هذا الرسم؟ حوالى خمسة عشر عاماً بدون شك وكانت ديللى شبه متأكدة من انها تعرف ضربة فرشاة هذا الرسام. انحنت لتتأكد لكن التوقيع كان غير مقروء.

- إنها احدى لوحات سان جوست.

كان الصوت غاضباً وساخراً كالعادة مما جعلها ترتعد. كيف استطاع الاقتراب دون أن تسمعه؟ وذهب يعد لنفسه كأساً من العصير.

- اعتقد انك كنت السابقة فى أخذ كأس من العصير هذه المرة.

- لكنى اود أن آخذ كأساً اخرى.

ولكن لهجتها لم تخف انفعالها الداخلى بل واحتراقها، وعندما مدت يدها لتأخذ الكأس كانا يراقبان بعضهما بصمت، والجو كان ثقيلاً جداً، ذكرها باللقاء الصباحى.

- اذن كنت تحاولين استكشاف مجموعة اللوحات الفنية؟

اجابت بحرارة:

- نعم. بورتريه والدتك..

- مرسومة قبل أن تفقد بصرها.

- كانت، ولا تزال، امراة جميلة جداً، سمعت عن سان جوست.

قالتها وهى تقترب من اللوحة.

- لقد رسمها بشكل رائع.

اجابها بلهجة مداعبة:

- انها واحدة من أحسن محاولاته.

www.liilas.com

- حسب ما يقال عنه، انه لا يرسم الا النساء اللواتى يعتبرهن فعلاً جميلات.

- هذا صحيح.

ونظر الى البورتريه، انهما لمتفقان هذه المرة على غير العادة.

سألت وهى تقترب من المدفأة:

- وكيف فقدت بصرها؟

- حدث ذلك منذ احدى عشرة سنة، عندما اصيبت بالتهاب كلوى حاد بالاضافة الى العوامل النفسية والآلام التى سببها لها رايس.

يعنى ان رايس كان فى الثامنة عشرة من عمره فقط عندما سبّب لها كل هذه المشاكل.

وراوول؟ كان يكبره بخمس أو ست سنوات.

- هل كان رايس يسكن هنا فى تلك الفترة؟

طرحت ديللى السؤال بصوت هادىء لأنها تعرف أنها تغامر فى موضوع حساس ولأنها كانت تجهل تأثير السيدة دوبريان على الحياة العائلية. نظر اليها راوول بدهشة.

- يبدو ان رايس لم يثق بك كثيراً، اذا اعتبرنا...

وترك جملته المفاجئة معلقة.

- يمكنك عدم الرد اذا كنت تفضل ذلك.

- نعم رايس كان يعيش هنا.

قالها وهو يهز كتفيه.

- القصر لعائلة امى منذ اجيال، وعندما انفصلت امى عن أبى كنت فى السادسة من عمرى.

وفهمت ديللى ان راوول فى السادسة والثلاثين من عمره.

- كان ابى رجلاً قاسياً، ولم آسف ابداً لهذا الانفصال. كان أثناء الحرب معجباً بالجنرال بيتان الذى تعاون مع الالمان، ولم تسامحه زوجته، ولكنه لم يوافق على الطلاق. وأخذتنى والدتى الى انكلترا ووضعتنى فى مدرسة ممتازة. وهكذا، فعلى عكس ما يقال، انها لم تتخلّ عنى.

نهض راوول ومشى امام المدفأة.

- وبعد عدة سنوات عرفت علاقتها مع املان مورغان. قد تكون قصة الحب هذه الأكثر شهرة فى تلك الفترة، لكنها بالنسبة الىّ، كانت بكل بساطة... صديقها املان كان رجلاً دافئاً، طيباً وحساساً وكان يحبها كثيراً، منحها الحب الذى رفض والدى أن يعطيها اياه. وهكذا فولادة رايس بدت لى أمراً طبيعياً جداً.

www.liilas.com

هام راوول فى تفكيره وتابع كمن يحدث نفسه.

- بالطبع كنت غيوراً بعض الشىء ولكن وجود أخ صغير، سمح لى باكتشاف عالم مجهول. وبعد موت مورغان عاشت امى معنا نحن الاثنين. كان رايس فى الخامسة من عمره وكنت فى الثانية عشرة وعشنا سوية سبع سنوات كاملة، اى أن رايس كان حاضراً فى كل ذكريات المراهقة، كان غريباً، وفوضوياً، يفيض جاذبية ورقة كمادته.

ابتسمت ديللى لهذا الوصف، انه رايس كما عرفته تماماً.

- كان طفلاً مدللاً وولداً احساساً بالذنب لدى امى المسكينة، كان رايس يعرف تماماً ماذا يريد.

وتوجه راوول بنظرته العابسة الى ديللى التى فهمت انه عاد بتفكيره الى حوادث قريبة والى علاقتها مع رايس.

- ... وبشكل عام كان يحصل على كل ما يريد.

لفظ الكلمات الأخيرة وسمع صوت فتح الباب فالتفت ليستقبل والدته التى أوصلتها ارنستين الى الكنبة وخرجت.

وقف راوول وراء امه ووضع يده على كتفها.

- راوول، ارنستين حكت لى عما حدث هذا الصباح، وان ديللى متأثرة من الحادث.

حاول راوول أن يراقب نظرات ديللى.

- لم يكن شيئاً مهماً، تزحلقت ولم أصب بأذى.

اضاف راوول:

- ديللى بصحة جيدة لا تقلقى يا أمى.

- كان عليك أن تستدعى الطبيب، ديللى ضيفتنا وعلينا أن نعتنى بها.

- اؤكد لك انها شابة قوية ولم تتأثر.

- ظنت ارنستين انك ذهبت بعد الظهر لاحضار الطبيب. ولكن على ما يبدو انك ذهبت الى السوق، فهل لديك اشياء مستعجلة؟

اجاب وهو يهز كتفيه:

- لا، كنت بحاجة لبضعة اشياء صغيرة ضرورية.

- مع ان ارنستين اكدت لى انك حملت عدة علب كبيرة.

قال ضاحكاً:

- ارنستين تبالغ احياناً.

- انها عيناى، وعيناى تخبرانني بكل شىء. لقد أخبرتنى أن ديللى كانت شاحبة وانها متأثرة من الحادث.

وضعت ديللى يدها على رقبتها بحركة آلية لكى تتحاشى ذكر ما حصل فى البرج. وتبعتها نظرات راوول.

www.liilas.com

- ربما كنت شاحبة بسبب الجوع، ومن ناحية اخرى كنت متعبة قليلاً، ولكنى أشعر الآن بالتحسن بعد أن نمت طيلة بعد الظهيرة.

- لن تعترفى بالحقيقة، واعتقد انك من النوع الذى لا يشكو على الاطلاق. عليك يا راوول أن تساعدنى، هل ما زالت شاحبة؟

تفحصها راوول بنظرات تحمل الكثير من الألغاز مما حيّر ديللى، ثم ابتسم وأجاب أمه دون أن يكذب:

- كلا، استطيع ان اطمئنك عليها.

- حسناً، لقد كنت عاقلة يا ديللى واسترحت قليلاً بدلاً من أن تعملى، واذكرك بأنه ليس هناك ما يجعلك متعجلة فالوقت ما زال متسعاً.

- ولكن عمى متعجل فى أن يطبع كتاباً آخر لرايس بأقصى سرعة ممكنة، وسابدأ بالعمل جدياً صباح الغد.

- يجب أن تعملى بهدوء وتستغلى اقامتك فى استكشاف المنطقة.

- هذا ما افكر به كذلك.

- هل تحسنين قيادة السيارة؟

- نعم. ولكنى افتقر الى الحس بالاتجاهات الصحيحة.

- استعملى الرينو عندما ترغبين، واطلبى الخريطة من غاسبار، ويستطيع راوول أن يخدمك كدليل إذا أردت.

- شكراً لعطائك... ولكنى لا اريد...

- لا أعرف... قالها راوول فى نفس الوقت.

- اسكتا انتما الاثنين، ارنستين اخبرتنى بأن حذاءك لم يعد صالحاً ولا يمكن أن تزورى المنطقة بدون حذاء آخر. فعليك يا راوول أن تصحبها الى بوى لتستعيض عن حذائها الأول.

التفتت السيدة الى ديللى.

- بوى ليست بعيدة من هنا، وراوول غالباً ما يذهب الى هناك. انها مدينة رائعة وجميلة وعليك أن تتعرفى عليها.

فتحت ديللى فمها لتعترض، لكن السيدة دوبريان كانت قد مدت يدها ليقوداها الى غرفة الطعام.

النزهة الى بوى لم تكن اقتراحاً وإنما امراً.

www.liilas.com

٦ـ طعنة فى العمق

قضت ديللى ليلتها فى قلق، فلم يعرف النوم لعينيها طريقا تتقاذفها الظنون والأفكار. كيف ستكشف الحقيقة للسيدة دوبريان؟ حقيقة علاقتها برايس. واثناء سهادها، قررت ان تزيح النقاب عن هذه الحقيقة وباقصى سرعة ممكنة مع انها مدركة تماماً للخطورة التى يمكن ان تحيق بها من جراء هذا الاعتراف، فمن المحتمل ان يلغى اعترافها هذا الأمل فى نشر قصائد رايس مورغان، وسيصاب عمها والقراء محبو رايس بخيبة أمل كبيرة. ولكنها لم تجد مخرجاً آخر. ديللى ايفريت متزوجة من عملها بحسناته وسيئاته، وها هى الآن فى موقع سيء ولكن عليها ان تضع نهاية لهذا الزواج الذى وضعها فى موقع حساس كهذا.

عشاء الليلة الماضية كان بالنسبة اليها نوعاً من التعذيب، وبذلت جهداً مضنياً لكى تمنع رغبتها من قول الحقيقة، وبدون اى شك لولا حضور راوول لاعترفت بكل شيء للسيدة العجوز.

ماذا، كيف، ومتى تعترف لها؟ السؤال كان صعباً. ويبدو انه من

المستحيل ان تتحادث على انفراد مع السيدة دوبريان. فهى لا تريد ان تتحدث امام راوول عن حياتها العاطفية لأنها تخافه وتخاف سخريته ولكنها بدأت تحب السيدة العجوز ولا تريد الاستمرار فى خداعها أكثر من ذلك.

وكذلك كان لديها سبب أعمق واقوى، الا وهو كشف نفسها لتشعر بالراحة بعيداً عن الكذب.

ومهما يكن من امر فلن تتراجع عن قرارها. وشعرت بشيء من الارتياح وهى تمشط شعرها امام المرآة، ولكنها عبست عندما لمحت الآثار الحمراء التى لا تزال على عنقها.

لبست كنزة رمادية فاتحة، وسروالاً رمادياً غامقاً، وربطت حول خصرها شالاً احمر مكان الحزام. وبعد ان التهمت افطارها بسرعة عادت الى البرج. فتحت القفل بسهولة، يبدو ان احداً قد زيّته.

وعندما فتحت الباب لم تصدق عينيها. فقد حدث تغيير شامل: عدة لمبات وضعت فى الغرفة مما جعلها تسبح بالنور، سجادة كبيرة حمراء غطت الارض، كنبتان تشبهان اللتين فى مكتب راوول مع طاولة منخفضة. وعلى المكتب السنديانى الكبير لمبة جميلة الشكل، وعلى طول الجدار نضدت الكرتونات والمغلفات بعد ان ازيل عنها الغبار. واخيراً وعلى مكتب صغير آلة كاتبة كهربائية جديدة.

هل يمكن ان يكون راوول قد فعل كل ذلك من اجلها؟

www.liilas.com

فتحت المغلف الاول، انه يحتوى على القصائد التى نشرها رايس منذ ثمانى سنوات والتى لا توازى ما أبدعه مؤخراً. وضمتها على الطاولة، واحست انها غير قادرة على التركيز، فأسندت رأسها على يديها ونظرت فى الفراغ وسبحت فى أفكارها. قررت ان تشكر راوول قبل ان تباشر العمل، والتقت ارنستين فى الصالون ترتب باقة الورد.

- اين السيد راوول؟

- انه يعمل فى مرسمه، ولكنه عندما يرسم لا يتوقف الا لتناول الطعام فقط، ومن الأفضل عدم ازعاجه.

- انا على استعداد لتحمل النتائج، اين يقع مرسمه؟

- كيف؟ الآنسة لا تعرف؟ انه فى الاسطبل.

فى الاسطبل! ياله من مكان سخيف، اذن لابد ان يكون بارداً، رغم شمس الربيع التى بدأت تدفىء الجبل. صعدت الى غرفتها واخذت سترة من الصوف الاحمر.

نقرت على الباب ولم تتلق جواباً ولم تجد اية نافذة لتعرف من خلالها اذا كان راوول فى الداخل ام لا. نقرت بصوت اعلى، ولكن فى الفراغ، فما كان منها إلا أن دفعت الباب ودخلت. وقفت مدهوشة، فالمرسم يسبح بالنور، بعد ان استُبدل السقف بقبة زجاجية، وعلى الحائط مجموعة من اللوحات الرائعة وعلى خشبة طويلة مجموعة من

الألوان، كمية من الفرش وأوانٍ فخارية، ورسوم تحضيرية.

كان راوول يقف امام لوحة كبيرة، التفت ونظر الى ديللى بدهشة.

- ما الذى جاء بك الى هنا؟

- اردت ان اشكرك.

نشف حلقها واسفت للمبادرة الطيبة. وضع لوحة الالوان والريشة على الطاولة متذمراً من الازعاج.

- الم يحدث لك ان قرعت الباب قبل الدخول الى مكان ما؟

قالت بهدوء:

- هذا ما فعلته.

- وعندما لا تتلقين جواباً، هل تستغلين الموقف دائماً لتتسلّى الى الداخل؟

- لا، لكن...

-لا احب ان يزعجنى احد اثناء العمل.

- فى هذه الحالة، عليك ان تقفل بالمفتاح.

- هذا ما افعله بشكل عام.

واسرع الى الباب ليقفله على الفور.

- من الافضل ان تدعنى اخرج اولاً.

www.liilas.com

استند بظهره الى الباب ولف ذراعيه على صدره.

- اشرحى لى لماذا جئت الى هنا أولاً.

- قلت لك لكى اشكرك.

- ولماذا تشعرين بأن عليك ان تشكرينى؟

- اشكرك على طريقة ترتيبك غرفة البرج فقد أصبحت الآن مهيأة للعمل.

- اقبل شكرك وماذا بعد؟

- لا شيء، انتهيت.

قالتها بدهشة.

- البارحة مساء كان فى قلبك شيء ما تريدين قوله لى.

كيف استطاع ان يعرف ذلك؟ وبدا لها كأنه يقرأ ما بداخلها...

- لا أعرف ماذا تتصور؟

- تكذبين بالنسبة لما اعرفه واحسه، ومن الأفضل ان تقوليه بصراحة.

- ابداً ليس لدى ما أخفيه.

أدارت نظرها عنه خوفاً من ان يقرأ الحقيقة فى عينيها.

- كما يروق لك، لكن الباب سيظل مقفلاً حتى اعرف.

وعلق المفتاح على مسمار فى اعلى الباب.

- تحت هذه الظروف، سانتظر حتى تقرر ان تفتح لى الباب..

التفتت واقتربت بهدوء من اللوحة التى يرسمها. المرسم مريح والطقس دافيء. خلعت سترتها والقتها بلا مبالاة على طرف الطاولة القريب. دارت حول اللوحة وهى آخذة بعين الاعتبار انه يتابعها بنظراته. لكنها متمسكة بألا تعيره اهتماماً، اللوحة لا تزال تخطيطاً، وهى عبارة عن بورتريه لامرأة فى الثلاثين من عمرها، جميلة جداً ذات شعر اسود. واحست بالنفور منها، لم تعرف الموديل، لكنها عرفت يد الرسام. التفتت بعيون جاحظة الى راوول.

- انت سان جوست؟

- تماماً.

وعلت ابتسامة ساخرة شفتيه.

- لكن هذا الاسم...

تذكرت اسم القرية التى نزلت بها من القطار... سان جوست.

-.. بالتأكيد استعرت اسمك من اسم القرية.

- انه بالاحرى على العكس.

- لكن...

- انه اسم عائلة والدتى ملاك هذا القصر منذ القرن السادس عشر.

- وانت؟

- راوول اتيين دوبريان دو سان جوست.

وعندما ابتسمت اضاف:

- هل تعتقدين أن هذا الاسم مضحك بالنسبة لك؟

- انه اسم نبيل... لدرجة اننى عندما اتذكر كيف اعتبرتك كواحد...

- كواحد من الخدم؟ اتذكر احتقارك عندما استقبلتك فى المحطة.

ابتسم بمكر كاشفا عن صفين من اسنان ناصعة البياض.

- كان على ان افكر بانك رسام مشهور بحاجة الى موديل فى هذا المكان البعيد.

- لدى مرسم اخر فى باريس حيث امضى جزءًا من السنة، لكن اوفيرن لا تخلو من النساء الجميلات.

- لم اشأ ان اقول ذلك لكنى كنت أُلمح إلى الطلبات .

-لا ارسم حسب الطلب، انا أختار المواضيع بنفسى.

شرح ذلك بتعال.

- اذن فانت لا تحتاج الى موديل للرسم.

- اعمل بشكل مختلف، ارسم تخطيطاً واسجل انطباعاتى ثم اضيف التفاصيل. وبعد ذلك لا يتبقى الا ان اباشر، وفى بعض الاحيان يسهل رسم الروح الانسانية لكائن ما عندما يكون غائباً.

اقترب من اللوحة وتفحصها باجفان مقطبة وتابع:

- الموديل يتكون من الجلد ومن العظم ويمكن ان يسلينى، اتصوره فى جوهره ببساطة وهذا هو كل شىء.

راقبها بتهكم بعد ان القى نظرة اخيرة على اللوحة.

- اعتقد انك ترغب بمتابعة العمل.

- لست على عجلة، النتيجة لم تعجبنى اليوم.

سحب علبة السكائر من جيب قميصه القطنى، ذى الاكمام المرفوعه الى الاعلى والتى كشفت عن عضلات ذراعية ونعومة يديه، اما فتحة الصدر فقد كشفت عن سمرته الجذابة.

- هل تريدين سيكارة؟

- لا شكراً، لا ادخن.

- لا تمارسين الرذائل الصغيرة، حسبما ارى.

واكد على كلمة صغيرة واحست ديللى بان طبيعته العدوانية بدأت تستيقظ مرة أخرى.

- لأنك محافظة على ما يبدو.

www.liilas.com

- ولماذا أكون كذلك؟ فلوحاتك لا تخلو من النساء.

وبحنق اشارت الى اللوحة التى يرسمها.

- مثل هذه، على سبيل المثال...

- هذه؟ بكل تاكيد.

ولم يخف مزاحه مما جعلها تثور اكثر ولم تعرف كيف ترد عليه بالاسلوب نفسه فقررت ان تهاجم لوحته.

- لا احب هذا التعبير.

- هل شعرت بالغيرة منها؟

لقد طعنها فى العمق. رفعت يدها لتصفعه لكنه كان اسرع منها فأمسك يديها وسمرها فى مكانها.

ترنحت من السخط وركلته بعنف على قصبة رجله.

- امرأة شرسة.

وبحركة سريعة ثنى ذراعيها خلف ظهرها، وشدها حتى انهكت قواها وتوقفت عن المقاومة.

- والآن ستعترفين، لماذا جئت الى هنا؟

كان صوته هادئاً ومهدداً فى ذات الوقت.

- شرحت لك ذلك من قبل. جئت اشكرك.

- اريد الحقيقة، وألحّ على ذلك.

- ليس هناك سبب آخر.

- مساء البارحة كتمت شيئاً ما.

- لا.

فتل ذراعيها مرة اخرى وبقوة اكثر.

- اعترفى.

- اتساءل كيف اوضحت حقيقة علاقتى برايس امام والدتك؟

ترك ذراعيها وتفرس فيها باهتمام.

- ماذا يعنى هذا؟ حذرتك من ان تعرف والدتى شيئاً.

- لا، ليس فيما يتعلق بما تسميه انتحاراً. حاولت ان اشرح امس ان خطوبتى لرايس لم تكن حقيقية.

- يجب الا تعرف ذلك مهما كلف الثمن، لأن هذا يمكن ان يقضى عليها.

- انت لا تريد ان تفهم.

- افهم اكثر مما تتصورين، ولكنى لا اريد مناقشة علاقتكما العاطفية فهى لا تهمنى، وبالنسبة لأمى، فانا امنعك ان تكشفى له! اى شىء على الاطلاق.

- لكن...

www.liilas.com

- انت لم تسببى لها اية اساءة حتى الآن، دعيها لأحلامها.

ولم تستطع ديللى ان تسيطر على رجفة جسمها، حاولت ان تشرح اهمية اعترافها للسيدة العجوز.

اوجزت قولها:

- انا آسفة فعلاً.

عانقها وشعرت بأن الأرض مادت من تحتها. أحست بان الدم يغلى فى عروقها. رفعت يدها الى صدره لتبعده ولكن راحتها لم تطاوعها على ذلك.

ثم نهض فجأة وتركها تلهث وابتعد عن الطاولة. وبعد ان لامستها اصابعه استعادت ديللى وعيها.

- ما الذى اصابك؟

اجاب بصوت اجش:

- ان ما اصابنى واضح.

- توقف فوراً.

- أليس هذا ما تريدينه؟

صفعها صوته كضربة سوط، استجمعت طاقتها ووقفت.

صرخت وهى تدفعه بيديها:

- لن تستطيع ذلك.

- ولماذا لا، منذ يومين وانت تحاولين اخفاء دعوتك.

ديللى لم تصدق اذنيها.

- دعوتى؟ ستكون بدون شك الرجل الاخير على هذه الارض الذى يمكن ان افكر به.

- لا؟ انت تفضلين بدون شك الرجل الذى لا يكشف الاعيبك، كالمسكين رايس.

صرخت وهى تشتعل غضباً:

- رايس على الأقل كان لطيفاً.

حدجها بنظرة مما جعلها تخفض الطرف، ثم ذهب وفتح الباب وانتظر.

لا تزال ترتعش، عبرت المرسم بعزة نفس، وتوقفت لحظة على العتبة.

تمتمت بتلعثم:

- انا آسفة.

وتشنجت، ساخطة ولامت نفسها من الاعتذار مرة اخرى بدون سبب.

- فى الوقت الحاضر، دعينى اتابع عملى.

ختم الموقف بصوت حازم ملىء بالحقد.

ورأت فى اعماق عينيه بريقاً خطراً.

وفى النهاية فصل الباب المغلق ما بينهما.

www.liilas.com

٧ ـ امرأة متسلطة

مدينة بوى تقع على سهل منخفض حيث يقوم رأس جبل بركانى هائل تكاد تنافسه الصخور فى الزحف على السطوح الحمراء الداكنة، والجدران الرمادية الضائعة فى الاخضرار.

ورغم أسفار ديللى الكثيرة، لم تكن قد شاهدت مشهداً خارقاً للطبيعة كهذا من قبل فوقفت صامتة من شدة الاعجاب والدهشة.

تمثال فخم لسيدة فرنسا على أكبر صخرة، وهى مخروطية الشكل تدعى صخرة كورنيل.

اخذ راوول دوره كمرشد بشكل جدى وبدأ يشرح لديللى تاريخ المنطقة بالتفصيل. حدثها عن الهياكل الرومانية الشهيرة وعن المسلة الصخرية، كان الهواء ما يزال بارداً نقياً منعشاً، والضباب يغطى عمق الوادى وديللى تنحنى خارج السيارة لكى ترى بشكل افضل.

كانا قد خرجا بعد تناول طعام الافطار مباشرة. كان راوول فى بداية الرحلة ثرثاراً على غير عادته وقد بدا جذاباً الى درجة كبيرة.

أشار الى الأماكن الجديرة بالاهتمام كما قص عليها حكايات تلك الأماكن ثم أوقف سيارته لتمتع نظرها بجسر يصل بين جبلين وشرح لها بأن هذا مثال للفن الهندسى الذى كان سائداً فى القرن التاسع عشر، عندما غزا الخط الحديدى هذه الأماكن البعيدة مغيراً العادات والتقاليد فى حياة الشعوب السالفة.

وعند وصولهما الى بوى تحدثا عن تنظيم برنامج ليومهما.

– سنزور الكاتدرائية بعد الظهر، هذا البناء المتأثر بالفن البيزنطى، الذى وسعوه فى القرن الثانى عشر فبنوا جزءاً منه فى الفراغ.

ألقت ديللى نظرة على دليلها، وقد لمست التغيير الذى طرأ عليه، فلم يعد مشدوداً ولا منغلقاً على نفسه كما كان فى مناسبات اخرى. انه يرتدى بدلة من جلد الغزال مع كنزة من الصوف البنى مما اظهر رشاقة قوامه. وبذل راوول جهده ليكون لطيفاً. لم يتجابها ولا لمرة واحدة منذ اسبوع.

قال بابتسامة عريضة:

– يجب تعميق مثل هذه الأفكار.

«يا لها من أسنان لامعة وجميلة» قالت لنفسها بشكل لا ارادى. وبعد دقيقة صمت اجابت:

– هذا الطراز يجعلنا نعتقد اننا نعيش فى عصر آخر.

www.liilas.com

- اليونان والرومان وغيرهم جاؤوا إلى هنا، فالمدينة قديمة جداً ولا يمكن لأى شخص أن يعرف حقيقة اصولها.

انعطف بالسيارة مبتعداً عن مجموعة اطفال يلعبون فى عرض الشارع.

- انه يوم السوق.

قالها وهو يحاول ان يحشر سيارته فى مكان للوقوف.

- ان عربات الباعة ليست بعيدة من هنا إذا كان هذا يستهويك.

قاطعته بعيون لامعة:

- نعم... إذا سمحت سيكون ذلك رائعاً.

مال باتجاهها ليفتح لها الباب فأمسكت أنفاسها عندما احتكت ذراعه بها. نزلت خارج السيارة ومشت بضع خطوات لتحرك قدميها. وكانت قد ارتدت ملابس مريحة وتركت شعرها يتساقط على كتفيها.

السوق عبارة عن موزاييك من الألوان، فعلى أطراف الساحة ركام من المجموعات الفنية وعربات النقل والفلاحين والمشترين. ثم صفوف البضائع المنشورة بالأحمر والأخضر والأصفر من الخضار، وفى مكان آخر معرض الأسماك، ومجموعة متنوعة من الأجبان والزبدة والعسل.

وفى إحدى زوايا السوق كان باعة الدانتيل. لم تسمح ديللى لنفسها أن تمس هذه التحف من المصنوعات اليدوية من شالات وقبعات ومخدات وأغطية طاولات.

وشرح لها راوول أن بوى كانت مثل بعض المقاطعات وعلى مدى قرون مركزاً مهما لصناعة الدانتيل اليدوى بالمخرز أو بالابرة. فالنساء يقمن بالحياكة فى القرى المعزولة بسبب الثلوج طيلة فصل الشتاء، وهذه المهنة فى طريقها الى الانقراض بعد دخول عصر المكننة.

أخذت ديللى بيدها قميصاً من الدانتيل، كان كالتحفة فى رقته ونعومته، حبكة الدانتيل ذات شكل عنكبوتى تحتها قماش من القطن الناعم. الرسم التقليدى ولكن التفصيلة حديثة ببساطتها، مع كمين طويلين ضيقين وفتحة صدر واسعة. تنهدت ديللى بحسرة وتساءلت إذا كانت تجرؤ أن ترتدى شيئاً مثله فى يوم من الأيام.

- حان الوقت للتفكير بالحذاء، أعرف مخزناً لا يبعد كثيراً من هنا.

وقادها فى شارع تجارى.

- علىّ انا ايضاً شراء بضعه حاجيات من السوق، لذا سأطلب منك ان نلتقى بعد ساعة ونصف الساعة فى المقهى الكائن فى جادة لويس.

- ألن تبقى معى؟

وأحست بانها كانت مضحكة بسؤالها هذا.

- بالتأكيد لا.

اجابها بنعومة ودلها على المقهى وابتعد.

www.liilas.com

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ظهراً عندما وصلت ديللى إلى المقهى تحمل شبكة فيها بعض المشتريات بالاضافة إلى الأحذية. اشترت شامبوان وعلبة شوكولا للسيدة دوبريان وثقالة ورق لعمها، عثرت عليها فى مخزن للأثريات.

كان راوول يتأرجح على كرسيه يقرأ الجريدة الاسبوعية، وبعد ان جلست ديللى طواها ووضعها على الطاولة الرخامية.

- هل انهيت مهمتك؟

- نعم، اكتشفت بعض المخازن، لكن الواجهة لا تعرض ما اهتم به وأفضله.

حدجها بنظرة سريعة قاسية.

- مع انني كنت اعتقد انها كانت نوعاً من الهوس الفطرى بالنسبة للأنثى.

قالت ضاحكة:

- يبدو أنك لا تعرف الكثير عن النساء.

تمتم:

- هذا ما بدأت أتعلمه. باشرى بمساعدتى وذلك بالاشارة إلى ما تفضلينه.

وقادها إلى مطعم صغير لا يمكن لسائح أن يكتشفه بمفرده. اختارت بعض الأصناف التى اشتهرت بها المنطقة، وأثناء الطعام تبادلا

الحديث فى مجموعة من المواضيع، وتلقت ديللى بسرور اختفاء عدوانية راوول حيث بدأ محدثاً جذابا.

قالت وهى تتذوق القهوة:

- أن يكون الانسان فناناً عليه أن يقدم المزيد. انت تنظم عملك فى الوقت الذى تراه مناسباً، تحصل على اجازة حسب هواك، بعيداً عن الرتابة اليومية وبخاصة فى الأعمال المكتبية. لست مرغماً أن تعمل تسع ساعات فى اليوم.

- اعمل احياناً اكثر من ذلك بكثير.

- ولماذا قررت أن تتخذ اسم سان جوست كرسام وليس دوبريان؟

- لأن عائلة ابى كانت معروفة جداً منذ القدم، وكذلك اسم والدتى كممثلة شهيرة. رفضت أن استغل هذه الشهرة، وكذلك لأسباب عائلية.

- وكيف ذلك؟

- لقد كان أحد اجداد عائلتى صديقاً لروبسبيير ايام الثورة الفرنسية وهو أول من طالب برأس لويس السادس عشر. وهو الوحيد الذى حافظ على أنفته عندما اقتيد مع روبسبيير وأنصاره إلى المقصلة.

تذكرت ديللى ثورة راوول فى البرج وأدركت أنه قد ورث إلى حد ما طباع أسلافه.

- ولكن قل لى بحق السماء. لماذا اخترت هذا الاسم؟

www.liilas.com

- ربما لأبرهن ان هذا الاسم ليس مرادفاً دائماً للعنف، أو لأننى معجب بعناد سان جوست تحدياً لكل شيء.

- يبدو لى ان هذا مخيف، مهما كانت بواعثك.

قال ضاحكاً:

- لننس هذا، رجاء. هل لازلت قادرة على تسلق برج الكنيسة؟

- بالتأكيد، إذا قررت أن تصحبنى.

- إذن هيا بنا، ولكن لنضع أولاً مشترياتك فى السيارة.

كان الصعود قاسياً على عكس ما توقعت ديللى، فقد كانت تلهث من التعب مما اضطر راوول ان يجبرها على التوقف مرات عديدة لاستعادة أنفاسها.

- هذه الكنيسة كانت ملجأ للنسّاك الذين استقروا بها رافضين النزول بعد ذلك الى الوادى.

- ان هذه القصة حزينة. انا شخصياً أتعب من الوحدة.

- لربما كانت حالة النساك كذلك، ولكنهم وجدوا السلام الذى لم يتوفر لهم على الأرض.

- يا له من وجود قاس.

- بالتأكيد لا يمكن أن اتصورك فى دير بل بالأحرى فى حاشية

احد امراء عصر النهضة أو حتى فى دور بوديكا، الملكة الانكليزية التى حاربت ضد الرومان، والنتيجة ان حوالى سبعين الف شخص ذبحوا.

كان على ديللى أن تغضب أو تضحك، ففضلت أن تسلك الطريق الثانى لكى يمر اليوم بشكل جيد وحتى لا تضيع الفرصة لتحسين علاقتهما فلا حاجة للعودة الى العدوانية.

- من يعرف، لربما اكون ناسكة جيدة.

- وان كنت لا اقتنع بذلك، ولكنه بدون شك شيء جميل جداً.

- اشكر اطراءك.

وابتسمت له ابتسامة ساحرة.

-عليك ان تضحكى فى معظم الأحيان لأن هذا يلائم ثغرك.

- انت ادعيت بأن فمى كبير جداً عندما وصفتنى لأمك.

- بالفعل، ولكن على أن اتراجع تماماً عن تقديرى السابق فيبدو أننى كنت مخطئا.

- لا تفعل، لأن ذلك سيجرح كبرياءك.

- هل تردين دائما الصاع صاعين؟

- أؤمن بالعلاقات المتبادلة، يجب الا تقبل المرأة الخضوع.

- الحرية المطلقة، كالرجال؟

www.liilas.com

- عندى قواعدى الخاصة فى الحياة.

- لاشك فى ذلك.

- احدى هذه القواعد الا اناقش فى الاخلاق من لا يملكها.

- ومن اين واتتك مثل هذه الفكرة؟

- يبدو انك تنسى بسرعة، لقد واتتنى من امور أود أن انساها.

وفجأة دوت العواصف فى السماء، وارتعشت ديللى واستدارت.

خيم صمت ثقيل إلى أن وضع يده على ذراعها قائلاً بلطف:

- اطلب ان تسامحينى.

- انت لا يمكن أن تنسى لحظة واحدة.

- طلبت منك ان تسامحينى.

لفظ هذه الكلمات بصعوبة وكأنه شخص قلما تعود الاعتذار. ثم نظر إلى الأفق بوجه حاد.

- هل يجب أن اتوسل اليك ساجداً؟

كان فى لهجته نوع من السخرية المشكوك بها والتى لم تستطع ديللى التصرف حيالها. ثم قالت:

- اسامحك اذا نزلت ساجداً المائتين وسبعين درجة.

- لدى فكرة اخرى. اقترح لدفع غرامة مشرفة دعوتك للعشاء لدى

عودتنا. انتى أعرف مكاناً مثالياً فى فندق ريفى ممتاز على بعد بضعة كيلومترات من سان جوست.

- اتفقنا، ولكن لا يزال الوقت باكراً.

- بالتأكيد، لكن بعد أن نزور الكاتدرائية وكنوزها، ثم نمضى ساعتين فى العودة سنكون مستعدين لعشاء ممتاز. احدى مواهب نويل، انها تعرف أن تقترح الأشياء المفضلة.

- نويل؟

- المرأة التى تدير الفندق، نويل روسينيول، ارملة.. تعمل فى هذا المكان فى فترة الصيف.

تخيلت ديللى نويل كمارى آنج أو ارنستين، واحدة من افضل طباخات الريف الفرنسى، وفرحت فى أن تتذوق عشاء حدثوها عنه فى لندن.

وبعد أن زارا الكاتدرائية وشرح لها راوول كخبير عن تاريخها وكنوزها، جلست فى السيارة منهكة وتثاءبت.

- آمل الا تعودى لتنامى، أنت فى طريقك لأن تكونى من أهل المنطقة، تنامين مبكرة وتنهضين مبكرة.

وبعد مرورهما بسان جوست، سلك راوول طريقاً ريفياً يتلوى بين الغابات والمراعى.

www.liilas.com

- الفندق ليس بعيداً من هنا، هل تشعرين بشهية للطعام؟

- اكاد اموت جوعاً، واعتقد اننى استطيع ان آكل عجلاً لوحدى.

كان الفندق عبارة عن مسكن ريفى قديم، رمم حديثاً بذوق شديد، شجرات الورد تغطى الجدران وبستان الخضار يمتد إلى الناحية الأخرى من المسكن.

فتح راوول باب السيارة لديللى لأول مرة وأمسكها من ذراعها ليوصلها إلى المدخل. و تقبلت ذلك عن طيب خاطر.

دخلا المبنى، كانت اضاءة الصالة خافتة وهى مفروشة بذوق، ظهر شبح امرأة، اقترب منها راوول وحياها بحرارة. كانت ديللى مبهورة من الاضاءة فاغمضت عينيها نصف اغماضة لتتمكن من أن ترى بشكل افضل. وضع راوول ذراعه حول كتفى المرأة.

- نويل أقدم لك ديللى، دليلة ايفريت التى حدثتك عنها، ديللى هذه هى نويل روسينيول.

تلقت ديللى صدمة، انها المرأة نفسها التى يرسمها راوول، جمالها لا يضاهى، انها أنيقة من أخمص القدمين حتى مفرق الشعر الأسود الفحمى. و شعرت ديللى بأنها قبيحة وثقيلة امام هذا الجمال الرائع.

- سررت جدا بلقائك يا سيدة.

ومدت يدها..

يبدو أن نويل لم تنتبه إلى اليد الممدودة وتوجهت إلى راوول بابتسامة متآمرة كشفت عن صفين من الأسنان الجميلة الصغيرة.

- لكنك يا عزيزى راوول لم تقل لى ان الآنسة ايفريت ذات شعر احمر.

شعرت ديللى برطوبة يدها فانزلتها وهى تغلى من الغيظ.

- تعالوا الى الصالون، يبدو أنك مرهقة يا آنسة، ماذا فعلت بها يا راوول؟

قالت ذلك وهى تمد يدها تحت ذراعه.

- قمنا بجولة على آثار بوى.

- وطبعاً اظهرت حماسك كمرشد. انظر إلى دليلة كم هى مرهقة. مع انك تبدو فى كامل نشاطك. لكن لماذا تصرف طاقتك هكذا؟

سألت وهى تهز كتفيها برقة.

- انه مجهود لا اقوم به من أجل احد.

قالت ديللى وهى تشدد على لفظ الحروف:

- لقد سررت بكل لحظة صعود.

التفت اليها راوول ونويل وحدقا فيها بدهشة، فالعدائية التى صدرت من السيدة روسينيول اثارتها الى اعلى درجة، وسمعت ضحكتها الرنانة المدروسة بعناية.

- اننا نشعر وكأننا كائن آخر عندما نكون بصحبة راوول، كما نشعر

www.liilas.com

بأننا مدللون اكثر من اللازم.

اجابت ديللى وهى تقلد الضحكة المصطنعة لنويل:

- صحيح.

تدخل راوول:

أخفيا مخالبكما، ديللى أرجوك نحن فى ضيافة نويل وهى احدى صديقاتى القديمات.

وبخها كطفل سيء التربية ونظر إليها باحتقار مع انه كان عليه، لو انصف، أن يوبخ صديقته القديمة.

اجابت ديللى بابتسامة لطيفة:

- لا شك بذلك.

- عزيزى راوول انت ايضا اجهدت دليلة حتى انها لم تعد تستطيع ان تتحكم بنفسها وهى بحاجة إلى الراحة فى أقرب فرصة. انت كذلك امضيت يوماً متعباً.

توجه راوول ليحضر كؤوس الشراب. «انه بالفعل فى بيته هنا». هذا ما فكرت به ديللى وتصاعد غضبها فأخذت كأسها وجلست.

- راوول انا مسرورة برؤيتك، عليك أن تتصل بى هاتفياً من وقت لآخر.

- بنظرى، ان الهاتف وسيلة تعذيب.

- لكنه ضرورى، لولاه لما عرفت اننى عدت من باريس.

جلس راوول إلى جانب نويل ودار الحديث بينهما، وكأنه نسى وجود ديللى تماماً. استغلت ديللى بعدها عن المحادثة فى مراقبة نويل لعلها تكتشف عيبا فيها، ولكنها للأسف لم تستطع.

- ستكون مجبراً على الذهاب إلى باريس من اجل معرضك.

- لا.. ليس هذا ضرورياً، فمعظم اللوحات هناك، اما البقية الموجودة هنا فسأرسلها فى الأسبوع القادم، وسأذهب بعد شهر للافتتاح.

- هل ستغيب فترة طويلة؟

- اسبوعين على الأكثر، وسأمضى باقى الصيف هنا.

- نشعر احياناً بالملل.. فى هذا المكان البعيد.

«انها تلعب لعبة الأرملة التى لا عزاء لها». قالت ديللى لنفسها. اشعل راوول سيكارتين وقدم واحدة لنويل.

- هل استطيع ان احصل على واحدة انا ايضاً؟

التفت بشراسة مستغرباً هذا الطلب اللامتوقع من ديللى، ونهض ليعطيها السيكارة الأخرى ثم عاد ليأخذ مكانه بجانب نويل.

قالت ديللى:

- أنا شخصياً أعشق ان اكون وحيدة. لكن بالنسبة للذين لا يملكون

www.liilas.com

غنى داخلياً فهذا صعب الاحتمال.

حدجها راوول بنظرة سوداء.

قال بلهجة باردة:

- والبعض الذين لا يملكون أية تربية.

- اعتقد اننا متفقان على الا نتحدث عن الاخلاق.

نصحتهما نويل، مسرورة بدورها كوسيط:

- على مهل، لا تثورا. يجب ان ننتقل الى المائدة قبل أن يبرد الطعام.

انزعجت ديللى أن تكون المائدة مجهزة لثلاثة أشخاص فنويل اذن كانت مدعوة مسبقاً للمشاركة فى وجبتهما.

لم تشارك ديللى فى حديث الاثنين. تحدثا عن اصدقاء مشتركين، وآخر ما قيل عن سان جوست وعن بعض الاصدقاء فى باريس. وفهمت ديللى ان راوول ونويل يتلاقيان فى باريس من حين لآخر، حيث يملك مرسماً هناك، وحيث تسكن نويل معظم ايام السنة.

وفهمت ديللى لماذا أحست بهذه التعاسة، لقد شعرت بالغيرة وهذا يعنى انها وقعت فى حب راوول دوبريان.

٨ ـ حب مستحيل

- لقد كنت ضيفة لطيفة على أى حال.

قالها راوول وهو يسرع فى قيادة السيارة، مركزاً انتباهه ليتجنب الأفخاخ الليلية والطرق المحفرة.

اجابت ديللى فى ضيق:

- بالكاد تكلمت بضع كلمات.

- صحيح، ولكنها بضع كلمات مختارة بعناية.

تحاشى منعطفاً وعكس غضبه على القيادة.

- كم يمكنك ان تكونى عدوانية احياناً.

- هذه احدى مواهبى. قالتها بلا مبالاة مفتعلة.

لا فائدة من تذكيره بنويل، فهى الاخرى يمكنها ان تكون عدوانية، ولكنها على درجة من الذكاء تجعل الآخرين لا يلحظون ذلك.

ديللى تكاد تختنق فعلى الرغم من انها بلغت الرابعة والعشرين من العمر ولا تزال تحافظ على استقلاليتها، بدون علاقة عاطفية فقد

www.liilas.com

وقعت الآن وبكل غباء فى حب رجل يكرهها تماماً. اوقف راوول السيارة فى باحة القصر. «علىّ ان اكلمه بشكل محبب لألغى التوتر الحاصل واعيد جو الصداقة الذى ساد بيننا قبل السهرة». هذا ما فكرت به ديللى.

تمتمت فى اللحظة التى خرج فيها من السيارة:

– راوول...

اخذ بعض العلب التى كانت خلف المقعد واغلق الباب، فاما انه لم يسمعها او انه تجاهلها وهو ما مالت إليه أكثر. بقيت فترة فى السيارة، وسمعت راوول يتوجه الى مرسمه ويغلق الباب. وسكتت وحيدة فى الظلام مع افكارها. ان هذا اليوم بساعاته الحلوة والمرة سيحفر فى ذاكرتها الى الأبد.

انها المتكبرة التى تعرف دائماً ان تتصرف بجدارة. ها هى الآن تشعر بالغيرة وتحترق من حب بدون امل ولا رجاء. لقد فقدت احترامها، وشعرت بانها سترتمى على راوول لو خرج ثانية.

لكن الباب ظل مغلقاً، وقررت ان تذهب وتنام بصمت. استقبلتها ارنستين التى لا يخفى عليها شىء.

– مساء الخير يا آنستى، السيدة دوبريان فى انتظارك.

كانت ديللى فى حالة سيئة ولكنها لا تستطيع الا ان تذهب الى الصالون. كانت السيدة العجوز تجلس على كرسيها امام المدفأة كالمعتاد

والى جانبها جلست ارنستين على كرسى منخفض تقرأ لها. «وعندما يفتح الليل ابوابه للعاشقين...».

عرفت ديللى انها احدى قصائد كتاب رايس الاخير المهدى اليها. وعندما انتهت ارنستين، التفتت السيدة الى ديللى بعيون مطفأة تلتمع بالدموع ورفعت يديها الشاحبتين لاستقبالها.

قالت السيدة بصوت مخنوق:

– عزيزتى. سامحينى، هذه القصيدة الجميلة ايقظت فى الذكرى، حدثينى عن رحلتك الى بوى.

كانت ديللى معقودة اللسان لا تقوى على قول كلمة واحدة.

– الن تقولى شيئاً، يا عزيزتى، ما الذى حدث؟

قالت ارنستين:

– انها قصيدة السيد رايس التى أحزنت الآنسة.

تحسست السيدة وجه ديللى الذى يفيض دمعاً وقالت:

– القصيدة، بدون شك، الذكريات ما تزال ماثلة وموجودة. انا غبية لأننى لم أراع ذلك.

اهتز جسم ديللى من شدة الانتحاب والألم. «يا لها من سخرية» قالت لنفسها، انها تبكى ابنها وتعتقد اننى اشاركها ألمها، فى الوقت الذى اتمزق فيه انا من حب آخر مستحيل. احضرت ارنستين كأساً وقدمته لها السيدة العجوز. شربت منه ديللى لتطفىء غليلها.

www.liilas.com

- اطلب عفوك لضعفي يا اوجيني، انا الآن بخير.

- كل الجروح تلتئم مع مرور الزمن حتى جروح الروح يا عزيزتي. فذكرى الاشياء الجميلة لا تنتهي أبداً، وان قلبك ما زال يفيض حزناً كقلبي. ولكن لن انسى ابداً ان في حياة رايس ومضات من السعادة بفضلك. ولكنني آسف لانكما لم تتزوجا قبل وفاته، كان سيسعدني ان يكون لي حفيد.

- لم يفت الاوان، ومن المؤكد ان راوول.

- على الاطلاق.

وشرحت لها بان راوول لن يتزوج ابداً لانه صعب جداً. وتنهدت بحسرة ومرارة.

- مع انه يبدو متعلقاً كثيراً بنويل.

قالتها ديللي وهي تزيد بيديها جرحها المأ.

- نويل. اذا تزوجها، ولسوء الحظ، فلن تنجب له في حياتها طفلاً لأنها تخاف كثيراً من ان يتشوه جمالها الذي تعتز به. لكن لننسَ هذا، المهم هو انت الآن.

- اؤكد لك انني اشعر بتحسن كامل، كنت متعبة قليلاً.

- لقد غرقت في عملك الاسبوع الماضي تماماً، ويجب ان تستغلي اقامتك هنا في نزهات سياحية، هل ذهبت الى شيزديو؟

- لا ليس بعد.

- يجب ان تذهبي الى هناك وتشاهدي الرقص الشهير. سأطلب الى راوول ان يصحبك الى هناك.

لا تريد ديللي بأي شكل ان تمضي يوماً آخر معه حتى لا يزداد عذابها، فبقدر ما تقلل من لقائه بقدر ما تشعر بالتحسن.

- انا بالفعل مشغولة جداً بالتمحيص في اوراق رايس.

- ليس هناك شيء مستعجل وسيسعدنا وجودك هنا لفترة طويلة.

- لا اعرف كيف اشكرك، لكن عمي متمسك بنشر كتاب رايس باقصى سرعة ممكنة وانا متمسكة بأن اكون عند حسن ظنه.

- في هذه الظروف، لا استطيع ان الحّ كثيراً، ولكن على الاقل وافقي على ان يصحبك راوول في زيارة الى بحيرة الرجل الضائع، انها قريبة جداً من هنا.

- يا له من اسم غريب.

- انه مكان جذاب جداً، وحسب الاسطورة، ان مدينة كانت موجودة قبل مجيء الرومان مكان البحيرة، حيث ان جنية وقعت في حب صياد جميل لكنه لم يوافق على ذلك الحب وكان لا يهاب شيئاً، حتى القدر، واحب فتاة اخرى.

- وماذا حصل له؟

- اقسمت الجنية انها ستدمر المدينة اذا ما عانق محبوبته في يوم ما، لكنه سخر من التهديد ولم يعبأ به، وفي المساء نفسه ما كاد يمس

www.liilas.com

محبوبته حتى انفجر البركان واضطربت الارض وغابت المدينة بين الامواج. حتى فى يومنا هذا، يزعم البعض اننا نستطيع ان نرى البيوت المختفية فى عمق البحيرة.

– ربما اذهب ذات يوم لاستكشافها.

خلال الاسابيع التالية، جاءت نويل مرات عديدة الى القصر، وكانت ديللى تحذر ردود فعلها لأنها تعرف الاسباب ونجحت فى ذلك. لكن نويل لم تعرف كيف تخفى غيظها من وجود ديللى فى القصر.

اما ديللى فقد تعودت ان تبقى فى غرفة البرج كل مرة تأتى فيها نويل حتى تتجنب لقاءها، حتى ان عملها على اوراق رايس تقدم كثيراً، ولم تعد ترى راوول الا قليلاً بعد تلك السهرة، ولكنه كان يخرج مع نويل عندما تأتى ونادراً ما يتناول عشاءه مع امه. كذلك لاحظت ديللى ان ارنستين كانت تحمل له طعامه الى المرسم مرات عديدة، ولربما يريد ان ينهى بورتريه نويل فى الوقت المحدد للمعرض. وقد رأته ذات يوم يرسل بعض اللوحات فى السيارة. وحاولت جاهدة ان تطرد راوول من تفكيرها، وانهمكت فى العمل، ولكن ما يزال اى تحريض منه يجعلها تضطرب فى اعماقها ويمنعها من التركيز. ذات يوم، عند نهاية الظهيرة سمعت الصوت المميز لسيارة نويل وكانت قد نزلت لتوها الى الصالون بعد ان اخذت حماماً، تنتظر السيدة دوبريان. من الصعوبة تحاشيها هذه المرة، قالت فى سرها، لأذهب على الاقل واحتمى فى الباحة الداخلية.

وتسللت بدون تأخير. كان الهواء بارداً بشكل كبير، واحست ان ثوبها القطنى كان خفيفاً بالنسبة لهذا الفصل، لكن فكرة لقائها مع نويل جعلتها تبقى فى الخارج. كانت الورود بدأت تتفتح فاقتربت لتقطف واحدة.

– آى.

سحبت يدها بسرعة وانبثقت نقطة الدم من اصبعها.

– عزيزتى الآنسة ايفريت، انت الوحيدة التى وخزها الشوك.

ارتعدت ديللى وكأن شوكة اخرى وخزتها فى قلبها والتفتت. لقد كانت نويل، مرتدية ثوباً فخماً من التافتا، وعبرت الباحة بخطوات واثقة راسمة ابتسامة مفتعلة على شفتيها.

«زهرة جميلة متفتحة»، قالت ديللى لنفسها وهى تدرك تماماً انها بملابسها المتواضعة لا يمكن ان تنافس اناقة كهذه.

بدأت بلطف:

– اذا كنت تفتشين عن راوول...

قاطعتها وهى تداعب باصابعها ازرار الورد:

– راوول يعرف اين يجدنى.

– اذا كان لديك بعض الوقت، استطيع ان اقدم لك كأساً.

– اذن راوول لم يخبرك؟ انا مدعوة هذا المساء للعشاء فزيارة الأم من وقت لآخر لابد منها.

www.liilas.com

ثم تابعت بصوت متوازن:

- لقد الحّ راوول كثيراً من اجل هذه الدعوة واسرّ لى بان ذلك ضرورى وان لديه ما يحدثنى به.

استعجلت ديللى فى تغيير مجرى الحديث لأنها غير متحمسة لسماع المزيد من جهة ولأنها ضاقت ذرعاً بتلميحات نويل المستفزة من جهة أخرى:

- هل يتقدم العمل فى البورتريه؟

هزت نويل كتفيها.

- انه يعمل ليل نهار، انه ممسوس.

ممسوس؟ ممسوس من تلك الجنية الجميلة...

- ان حظك كبير، وانه لشرف كبير ان يرسمك سان جوست.

- أتتحدثان عنى؟

أنعقد لسان ديللى عندما اقترب راوول منها.

- بالتأكيد يا عزيزتى، لا يمكن الا ان نتحدث عنك وباطراء.

انحنى نحوها وحياها بحرارة. «لا حاجة لوجودى»، فكرت ديللى وابتعدت لتدخل الصالون.

- كيف؟ اتريدين ان تنسحبى فور وصولى؟

- اشعر بالبرد قليلاً.

وكان ذلك صحيحاً، لأن جسمها كان مقشعراً.

قالت نويل بضحكة ساحرة ولكن هشة:

- كان عليك ان تضعى سترة على كتفيك يا عزيزتى.

- صحيح. ان الطقس ليس دافئاً.

وضع سترته على كتفيها، وكانت هذه المرة الاولى التى يقترب فيها راوول منها بعد نزهة بوى.

قالت نويل بلهجة متضايقة:

- قد يكون من الافضل ان ندخل جميعاً.

اجاب راوول متوجهاً نحو الباب:

- فكرة جيدة.

وحال وصولهم الى الصالون، وضعت ديللى السترة على مسند الكرسى آملة ان تتحاشى اى احتكاك آخر مع راوول. راقبته وهو يعد الشراب. قميص حريرى بصدر مزخرف، بدلة ذات تفصيلة رائعة، لكن راوول الذى احبته كان ذلك الذى عرفته يرتدى قميصاً قديماً وسروالاً مليئاً ببقع الالوان.

قالت نويل وهى تحمل له السترة:

- راوول، من المؤكد ان خياطك عبقرى. عليك ان تستعين به ليصنع لك ملابس خاصة للعمل.

www.liilas.com

وختمت ديللى ضحكة عصبية كادت تفلت منها فنظر اليها راوول متسائلاً:

- هل قلت شيئاً؟

- لا.

وضعت يدها على فمها وتظاهرت بالسعال.

- ربما تأثرت من البرد فى الخارج او اثناء العمل فى البرج.

مد لها كأساً من الشراب وقال مهموماً:

- هل تريدين ان تستعيرى سترتى؟

قالت نويل متضايقة من لطافة راوول:

- راوول. دليلة ليست طفلة يجب لفها ووضعها فى السرير لدى أول عطسة.

ثم اخذته من ذراعه وشدته امام اللوحات ورسمت تعبيراً من الخجل على وجهها وهى تنظر اليه قائلة:

- اين ستعلق البورتريه الاخير يا عزيزى؟

- ليس على هذا الجدار.

تساءلت بغيظ:

- ألست مسروراً من عملك هذا؟

- على العكس، اعتقد انها اجمل لوحة احببت رسمها.

- اذن ستعرضها فى باريس عند سفرك فى اليومين القادمين أليس كذلك؟

- لا، لدى رغبة ان احتفظ بها فى القصر وفى منزلى.

- مكان الشرف.

لمعت عينا نويل من الفرح ثم غطت وجهها سحابة من الظل.

- هل تعتقد ان الموديل ليس اهلاً لأن يعرض... ويعجب الآخرين؟

- افضل ان احتفظ بها لمتعتى الشخصية.

- لكن رغم كل شىء لوحة مهمة كهذه، لا تكون معروضة...

ولم تكمل جملتها فقد سمعت صوت ضحكة ناعمة. ديللى اكملت الجملة فى داخلها.

«... النسخة الاصلية، يعنى الساحرة الجذابة نويل روسينيول». ثم ذهبت وجلست على احدى الارائك، وكانت تحس بأن راوول يراقبها رغم حديثه مع نويل.

تابعت نويل وهى تجلس بدورها:

- يسعدنى ان تكون راضياً عن عملك.

- لا تستبقى الاحداث. انتظرى حتى تريها فقد تصابين بخيبة امل.

- ستعجبنى حتماً، متى استطيع ان أشاهدها؟ ان رغبتى قوية فى رؤيتها.

- الفضول عيب سىء يا عزيزتى، لا يمكن لأحد ان يرى لوحاتى قبل ان تنتهى تماماً.

قالت ديللى فى سرها: «هذا ليس صحيحاً فقد رأيتها».

www.liilas.com

- لكن يا عزيزى...

- ليس هناك شذوذ عن القاعدة عندما ارسم، الشخصية الحقيقية للموديل تتكشف لى شيئاً فشيئاً، اللوحة ترينى اشياء قد تفوتنى لدى الرؤية البصرية، الرسم بالنسبة لى طريقة لكشف روح الموضوع.

- آمل ان يكون الاكتشاف حسناً.

- حسناً و.. وسيئاً، اكتشاف الجمال هو ان نذهب الى ما بعد الظاهر.

سألت نويل باشمئزاز:

- تريد ان تقول كسلسلة اللوحات التى رسمتها للفلاحة التى من أوفيرن؟ لا افهم ابداً كيف تستطيع ان تجد طباختك جميلة؟.

- مارى آنج تمتلك جمالاً خاصاً بها.

- هذا يعنى انك عبقرى يا راوول، وآمل الا تكون قد بذلت مجهوداً كبيراً فى اكتشاف الموديل الذى تعمل عليه حالياً.

ورمقته بنظرة مثيرة، ولم تستطع ديللى ان تتماسك فقالت:

- هذا ليس اكيداً بعد ان يكشف ما يفلت من الرؤية البصرية...

التفت نحوها راوول ونويل فى ذهول وكأنهما اكتشفا وجودها تواً.

«يا لى من فتاة لا تحسن التصرف»، قالت فى نفسها نادمة وهى ترى وجه نويل الغاضب ووجه راوول المتقلص.

ولكن دخول السيدة دوبريان انقذ الموقف.

٩ـ الحقيقة المرة

وعلى الرغم من كل شىء، مرت السهرة على خير، فنويل لم تتأخر فى أن تستعيد ثقتها بنفسها ومع مرور الوقت كان مزاجها يتحسن خاصة فى وجود السيدة دوبريان، حتى أنها أبدت لطفها لديللى. «بدون شك لأننى أعلنت باننى اقترب من نهاية عملى»، هذا ماقدرته ديللى.

وبالمقابل فان السيدة دوبريان تلقت الخبر بانزعاج.

- ديللى عزيزتى، اسبوع واحد فقط، هذا قليل جداً. هل انت متاكدة من انك لا تستطيعين المكوث هنا لفترة اطول؟

اما راوول فقد احتفظ بصمته ولم يضف شيئا الى اللحظة التى طرقوا فيها موضوعاً آخر.

وفى اليوم التالى كان الطقس بارداً، لبست ديللى كنزة سميكة قبل أن تعود الى البرج. تنهدت بعمق وانقضت على كتلة الوثائق المرتبة على المكتب.

هل عليها ان ترتب هذه القصائد حسب تاريخها ام اسلوبها ام موضوعها؟ ولم تتوصل الى قرار. وشعرت بخمول فى تفكيرها، وربما لأن

www.liilas.com

الأوراق الأخيرة كانت أقل اهمية، أو لأنها ستغادر هذا المكان عما قريب، ولن تعود اليه ابداً. لقد بدأت تحب المكان، ثم ان هذه هى المرة الأولى فى حياتها التى تعرف فيها طعم الحب... ولكن عليها ألا تفكر براوول.

وأجبرت نفسها ان تركز اهتمامها فى العمل... لكن الصفحة التى امامها كانت عبارة عن طلاسم حقيقية. انها واحدة من آخر قصائد رايس، مليئة بالتشطيبات والتعديلات، ويبدو انه كتبها تحت تأثير الهذيان، ولكن ربما تستطيع أن تجد اماكن الكلمات بسهولة لدى ضربها على الآلة الكاتبة.

وضعت ورقة بيضاء فى آلتها وباشرت بنسخ الأبيات، ولم تشعر بمرور الوقت بعد أن انهمكت فى العمل. سمعت أحداً يقرع الباب وتأكدت من ان ارنستين جاءت تذكّرها بموعد الطعام.

تنهدت ديللى بارتباك وفتحت الباب، تجمدت ولم تعد تقوى على الحركة. انه راوول مع انه لم يعد الى البرج منذ ذلك اليوم البعيد جداً.. ماذا يريد اليوم؟

- هل تسمحين لى بالدخول؟

كان يلبس السروال الملىء ببقع الألوان، وقميصاً قطنياً أزرق اللون مفتوح الصدر. حاولت ديللى ان تتجنب نظراته لكى لا يكتشف اضطرابها وقلقها.

- بالتأكيد.

وابتعدت عن الباب لتفسح له مجالاً للدخول، وحاذرت ان تغلق الباب وراءه.

- هل تقتربين من نهاية عملك؟

اجابت ببساطة لكى لا تفتح مجالا للنقاش:

- نعم.

- حسناً.

ومد لها علبة كان قد اخفاها وراء ظهره.

- ما هذا؟

- اقبليها كهدية عيد.

تمتمت وهى لا تقوى على القيام بأى حركة:

- لم يكن هذا ضرورياً.

- خذيها (وألحّ) انت حملت الى والدتى الكثير من الراحة، وهذه هى طريقتى لكى أشكرك.

- لا، لا استطيع.

- بلى تستطيعين.

بريق من المداعبة لمع فى عينيه السوداوين وأضاف وهو يضع العلبة على الطاولة:

www.liilas.com

- اذا كنت لا تريدين أخذها من يدى، سأضعها على الطاولة هنا ثم ابتعد.

وتراجع بضع خطوات. كان الفضول أقوى من ديللى، اخذت العلبة وفتحتها، لم تصدق عينيها، انه قميص الدانتيل الذى اعجبها فى بوى. وصرخت من المفاجأة والفرح:

- لكن، ياراوول...

والتفتت نحوه بوجه مشع ولم تستطع أن تقاوم نظرته فخفضت عينيها.

- البسيه هذا المساء.

كان هذا شبه امر.

- مستحيل.

- ولماذا؟

بدا صوته مخملياً ناعماً على غير ما اعتادت منه.

- لأننى لا استطيع ان اقبله، خذه وقدمه... الى شخص آخر.

ووضعته على المكتب.

- اذا كنت تفكرين بنويل فهى غير محرومة من الهدايا، وهذا لا يليق بها. انه مصنوع لشخص اكثر رشاقة.

«شكراً للمديح»، قالت فى سرها. ثم دمدمت بصوت مرتجف لا يخلو من العداء:

- لا اريده.

- اذن خذيه لأننى اريده...

وأخذ يلحّ كثيرًا.

- لا .. لا مجال للنقاش.

وأحست انها وقعت فى الفخ، انها ترغب القميص، ولكن لماذا يفرضه عليها بهذه الطريقة؟

- ديللى. (قالها بصوت دافىء وحنون) انه ضرورى جداً بالنسبة إلى ان تقبليه منى ولا استطيع ان ابين السبب.

- لا.. لا اريده.

تمتم وهو يدير ظهره:

- ارجوك.

- اقبله، بما انك تصر على هذه النقطة.

شعر بالراحة والتفت اليها.

- عدينى ان تلبسيه هذا المساء.

- أعدك، ولكنى لا افهم لماذا، هل هذا مهم إلى هذا الحد؟

- ستفهمين غداً.

ابتسم وبدا كأنه شخص انسانى لأول مرة. وخفق قلبها بشدة ولم

www.liilas.com

تعد تعرف كيف تخفى اضطرابها. وكأنه احس بذلك فجلس على الطاولة وعقد يديه خلف رأسه.

- حسبما ارى، يبدو ان كل شيء مرتب.

وأشار الى مجموعات المغلفات الكبيرة التى على المكتب.

- هذه القصائد يمكن نشرها بكل تأكيد. تعال واقرأها فى أى وقت تريد بما انك لا تريد ان يخرج شيء من هنا بدون رقابتك.

- لم يعد هذا ضروريا، غيرت رأيى. وهذه؟

سأل وهو يريها الأوراق المنتشرة امامه.

- هذه هى الأوراق التى استبعدتها، لا اعتقد انها تستحق النشر، على الأقل الآن ولربما فى المستقبل.

تفحص بعض الأوراق ثم وضعها مكانها.

- اعتقد انك على حق.

- لست متأكدة تماما من بعض الأبيات، انها غير مقروءة تقريباً، وفيها الكثير من التصليحات والتعديلات.

- هذه مثلاً؟

سألها وهو يأخذ القصيدة التى بدأتها لدى وصولها. انحنى على الآلة الكاتبة وأدار الاسطوانة ليخرج الأسطر الأخيرة.

- لا ليس هذا أحسن ما كتبه.

نظر اليها بتساؤل ودهشة وأطال نظرته حتى أحمر وجهها، ثم نهض ومشى بجانبها حتى كاد يلامسها مما جعلها ترتعش. طلب اليها قبل أن يغلق الباب بهدوء:

- لا تنسى وعدك.

هذه اللحظات التى مرت بصحبة الرجل الذى احبته سراً غيرتها تماماً. ولم تعد تستطيع العمل بعد ذلك فقررت أن تذهب لتناول الطعام على أن تعود بعد الظهر لاستكماله. وقبل أن تخرج رتبت الطاولة، وعندما سحبت الورقة من الآلة الكاتبة جذب انتباهها سطر. «وجهها البرونزى يبرز من خلال ستائر سميكة من الشعر الأسود». لم تنتبه اليه من قبل لأن انتباهها كان منصباً على فك الحروف والكلمات المطموسة. انه يعنى سالى، وتساءلت اذا كان راوول قد انتبه الى هذا، وهل هذا ما جعله يغير رأيه إلى هذا الحد؟ لقد حكم عليها بأنها لا اخلاقية وانها مسؤولة عن موت أخيه.

وبأصابع مرتجفة اخذت القميص وخرجت. صعدت الى غرفتها بعد تناول الطعام. تراكم تعبها عليها، فنامت طيلة بعد الظهر نوما عميقاً، ثم بقيت فترة طويلة فى الحمام لتزيل التعب عن جسمها المنهك. غسلت شعرها ومشطته طويلاً، وهى تفكر بحياتها المهنية الفنية جدا، وحياتها العاطفية الفقيرة جداً إلى أبعد الحدود.

استفاقت من احلامها وبدأت تعد نفسها للعشاء. القميص كان

www.liilas.com

اجمل لو صنع على مقاسها، لكن فتحة الصدر كانت كبيرة. «وما اهمية ذلك؟» قالت لنفسها، «السيدة دوبريان لا تبصر، وراوول عنده امرأة اجمل منى بكثير».

لبست تنورة من المخمل الأخضر القاتم، ولكن لم تكن لديها حلية تليق بالقميص فقررت ان تضع وردة على فتحة الصدر.

تأخرت اكثر من المعتاد عندما نزلت الى الصالون. كانت السيدة دوبريان جالسة على اريكتها المفضلة، وراوول مرتكزاً بكوعه على المدفأة يرتدى بذلة نيلية. توجه إليها بابتسامة رضا واعجاب.

- انك وردة انكليزية جميلة هذا المساء، اشكرك لأنك نفذت وعدك.

قالها وهو يغمرها بنظراته.

احمرت خجلاً مع انها لم تهتم لفتحة الصدر فى غرفتها. اما السيدة دوبريان فانحنت وكانها تريد ان تخترق الستارة السميكة لعماها.

- عن أى شىء تتحدثان؟ اريد ان تقصصا علىّ.

اجاب وهو يضحك.

- ديللى وعدتنى ان تلبس قميص الدانتيل الذى وجدته فى بوى. انه جميل جداً وكانه صنع خصيصاً لها، تبدو جميلة كوردة.

وأضاف بصوت مختلف:

- لكن عندما تحمر خجلاً، كالآن، فان لوحة الألوان تكتمل بشكل رائع.

- راوول، كف عن التكيد على دليلة، ومن الأفضل أن تقدم لها كأساً بدل ان تتفحصها كانها احد موديلاتك.

وأثناء العشاء، بدأت ديللى تسترخى تدريجياً، فاستندت على مسند كرسيها ولكنها لم تجرؤ ان تنظر إلى راوول خوفاً من أن تفضحها عيونها.

وحاولت السيدة دوبريان أن تثنيها عن الرحيل فور انتهاء العمل، ولو أضاف راوول صوته إلى صوت امه لربما تراجعت عن قرارها، لكنه لم يبد أى تاثر، وكان على العكس فى أحسن حالاته المزاجية، مرحاً، نشيطاً، فرحاً وقد يكون ذلك بسبب افتتاح معرضه فى باريس.

احست عدة مرات بانه يحاول أن يلفت نظرها لكنها تحاشت ان تلتقى عيناها بعينيه. وعلى كل حال فالعشاء كان ممتازاً، ومضيفتها كانت فرحة إلى حد بعيد.

قالت السيدة بعد أن عادوا إلى الصالون:

- راوول. اخبرتنى ارنستين ان نويل كانت اليوم فى القصر.

اجاب وهو يساعدها فى الجلوس على اريكتها:

- آه، نعم.

- اعتقد ان نويل تركت لك رسالة، وان ارنستين وضعتها فى مرسمك.

- لا، انها تعرف انه يجب عدم ازعاجى أثناء العمل.

قرعت السيدة دوبريان الجرس المعلق فى السقف فحضرت ارنستين.

www.liilas.com

- رسالة السيدة روسينيول، لو سمحت، واحضرى لى العلبة التى فى غرفتى.

التفتت ديللى وقد تغير مزاجها.

- هل ستتزعجون اذا طلبت منكم السماح لى بالانسحاب؟

اجابت العجوز:

- ارجوك أن تنتظرى قليلا.

ثم وضعت يديها على ركبتيها وتابعت:

- والآن يا راوول، ما الذى لدى هذه السيدة لتقوله ولم تقله البارحة مساء؟ لقد بقيت هنا زمناً طويلاً بعد ذهابنا أنا وديللى للنوم. ديللى يا عزيزتى، الا ترين ان ابنى يضحى كثيراً من اجل هذه السيدة؟

دخول ارنستين انقذ ديللى من الارتباك فلم تكن تدرى ماذا عليها أن تقول، وأخذ راوول العلبة المخملية الكبيرة من ارنستين مع المغلف البنفسجى، وأعطى العلبة الى امه قبل ان يفتح الرسالة. قرأ الرسالة ثم ابتسم برضا، ادارت ديللى وجهها وسمعته يضع المغلف فى جيبه.

- دليلة، اود ان اعرف اذا كنت تتزينين ببعض الحلى هذه الليلة.

اجابت متوترة لأنها فهمت التالى.

- اضع زهرة.

- اذن خذى يا عزيزتى هذه، انها هدية من والد رايس مورغان.

وسحبت من العلبة عقداً لؤلؤياً ذا صفوف ثلاثة جميلاً ورائعاً كما رأته ديللى فى صورة اوجينى دوبريان.

- من المستحيل أن اقبله.

ان ديللى تتألم من كونها كذبت على السيدة العجوز التى استقبلتها كأحد افراد الأسرة وأحبتها كثيراً، لكنها لن تستمر فى الكذبة التى عاشتها، فهذا مالا يمكن أن تتحمله.

- خذيه، لأننى أريد ذلك.

كلمات راوول نفسها، ولكنها لن تقبل هذه المرة.

- لا ارجوك.

- راوول، يبدو أن ديللى صعبة، خذ العقد وضعه عليها.

- بكل سرور.

اخذ العقد ومن خلف مقعد ديللى مرره حول رقبتها وسمعت صوت القفل، ثم احست بيدى راوول تنزلقان على شعرها ثم على كتفيها، وامتدت اليد الحارة وسحبت الوردة التى كانت على صدرها، ثم صعدت بتلكؤ. اغلقت عينيها وانتابتها رعشة سرت فى جميع جسدها.

- راوول لماذا انت صامت؟ كيف حال العقد على صدرها؟

كلام السيدة كان له تأثير المياه الباردة التى انصبت على رأس ديللى فنهضت وهى ترتجف.

www.liilas.com

- لا.. لا يمكن أن آخذه، فهو ليس لى.

- انه لك منذ الآن بما أنى قدمته لك، رايس كان يريد أن يقدمه لك.

- لا، انه...

- كان سيكون لك يوم الزفاف.

- لكن...

- خذيه يا طفلتى، واعتبريه ذكرى من رايس وليس منى.

- لكن رايس لم يحبنى.

وخرجت كلمات ديللى عفوية دون تفكير. صمتت السيدة العجوز وظهرت تجاعيد وجهها من ردّة الفعل. ثم اجابت بصوت هادىء:

- اذن خذيه باسم حبك له.

- لم احب رايس، انا ايضاً، لم احبه ابداً، ولم نفكر اطلاقاً بالزواج، وخطوبتنا كانت شكلية، لقد عقدناها لنحميه من المعجبات.

- لكن الكتاب، القصائد، بالتأكيد...

- ألم تفهمى انها لم تكن أنا؟ رايس لم تكن له امرأة واحدة فى حياته، وقد استوحى قصائده من مجموعة من النساء.

- ومع ذلك فأنت المفضلة، والاهداء، من اجل دليلة..

- لا.

حاولت ديللى بيأس أن تزيل الألم الذى قرأته على وجه العجوز، ولكن فات الأوان وأحست برغبة لا تقاوم فى أن تعترف بالحقيقة.

- الاهداء لا يعنى شيئاً، فانا لم اكن حبيبته، وكانت علاقتنا مهنية بحتة.

- ديللى، لماذا تقصين علىّ مثل هذه الامور المخيفة؟

اصبح لون العجوز بلون الشمع وتقلصت تجاعيد وجهها تماماً من هول الصدمة.

- لأننى احاول ان اشرح لك لماذا لا اسمح لنفسى ان اقبل العقد.

وحاولت ان تفك العقد، وخبأت رأسها بين يديها وتمتمت بانفعال:

- انه سوء تفاهم شنيع.

- سوء تفاهم، وتركتنى اصدق طيلة هذه الفترة..

اختفت الكلمات فى حلق العجوز، وشعرت ديللى بأنها وقعت فى الفخ وأنه لا سبيل إلى النجاة. التفتت الى راوول ورأته يستند على الأريكة التى كانت تجلس عليها، ممتداً كالوحش الجاهز للانقضاض على فريسته. وجهه متقلص، عيناه مركزتان على امه، ولم تأمل ان يمدها بأى مساعدة. بلعت ريقها بصعوبة والتفتت إلى السيدة:

- ظننت اننى اسدى معروفاً.

- معروفاً!

تقدمت السيدة من طرف الكرسى وكأن الحقد منحها قوة.

www.liilas.com

- كل هذه التمثيلية معروف، معروف من اجلى انا! لم يبق لى غير احسانك، لقد خدعتنى ولا اقبل...

- اردت فقط...

- جعلتنى اصدق انك كنت خطيبة ابنى.

- الخطوبة كانت حقيقة ولكن فقط لكى احميه.

- جعلتنى اصدق انك احببته.

- لم اقل هذا اطلاقاً.

- الم تخدعينى؟

- لم أفكر فى حياتى ان اجرح احداً.

- استغللت ثقتى، ليس عندى ما اضيفه.

انتفضت ديللى وتوجهت بخطى غير ثابتة نحو الباب، وراقب راوول خروجها دون أية كلمة.

١٠ ـ خطة محكمة

أوقفها راوول فى آخر السلم.

صرخ بصوت يشبه التوسل:

- ديللى..

التفتت اليه وقد اخرجت كل مخالبها كحيوان جريح يدافع عن نفسه حتى الموت قائلة:

- انت، كل هذا بسببك.

كانت تعرف أن هذا مخالف للحقيقة، ولكنها كالمجنونة من شدة الانفعال، وبحاجة الى ان تصب جام غضبها على أى أحد ولم تجد سواه.

- أصحيح، هل انت متأكدة؟

- نعم صحيح. لو انك لم تحرجنى لأرتدى هذا القميص...

- انه رائع عليك، ولكن هذا لا علاقة له بما حدث.

- لا؟ ولكن لو لم تلامسنى مثل...

توقفت وقد احمرت خجلاً من اعترافها.

www.liilas.com

- لكنك مع ذلك رفضت العقد.

راحت ترتقى السلم ولكنه اعترضها بذراعه.

- لا تسيئى إلى نفسك.

- أنت الذى اساء إلى براءتى، اجبرتنى ان اعدك هذا الوعد السخيف بأن ارتدى القميص، وبدون سبب واضح، وإذا..

قاطعها بلهجة هادئة:

- ليست لديك أى فكرة عن اسبابى.

نظرت اليه نظرة مليئة بالحقد، ودون أن تضيف كلمة خرجت وأغلقت الباب بعنف فى وجهه.

وفى غرفتها تخلصت من ذلك العقد الملعون وكذلك من القميص.

لماذا ألحّ راوول على ارتدائه؟ وأحست بانها لو لم ترتعش فى حضوره، لوجدت طريقة أقل مأساوية لرفض العقد، أو لربما تظاهرت بقبوله ولا تأخذه معها لدى مغادرتها القصر ولاستطاعت تجنب كل ما حدث.

وبعينين ساهمتين وبدون تفكير سحبت الحقائب من الخزانة. لم يعد لديها أى شىء هنا، والكلام الذى يصعب اصلاحه سبق وان قالته. وانقبض صدرها لأنها وبشكل لا ارادى سببت للعجوز التى تحترمها والتى بدأت تحبها الآلام، وان وجودها فى القصر سيذكر السيدة دوبريان بالابن الذى عليها أن تنساه.

والأكثر من كل ذلك كانت بحاجة لأن تهرب من راوول، انها لم تعد تقوى على النظر اليه وجهاً لوجه مرة ثانية، وهى تتذكر أفعاله، ولماذا بقيت مشلولة عندما سحب الوردة، وتمهلت يده على صدرها؟

وبالنسبة الى راوول، كان قد حذرها منذ البداية انه لن يسامحها اذا ما تسببت فى أية آلام لأمه. رحيلها سيخفف عنه، وان عبورها فى حياته الخصبة لن يشكل الا حادثاً طارئاً لا سيما مع فرحة افتتاح معرضه فى باريس.

وبالنتيجة فقد انتهت المهمة الموكلة اليها بالفشل لأنها لن تأخذ معها الى لندن الوثائق المتفق عليها.

كان قلبها مفعماً بالحسرة لأنها ستخلف وراءها ثمار أسابيع كاملة من العمل الدؤوب المضنى، وقد يستطيع عمها أن يحصل عليها بعد ذلك، لأنها كانت قد اعدت كل المغلفات الرئيسية بالترتيب، اذا وافق راوول على ارسالها بالبريد مثلاً ولكن ذلك لا يهم.

عليها الآن أن تنظم هربها بعناية وسرعة. أعدت فستاناً ازرق بسيطاً يناسب السفر ثم دست باقى الملابس فى الحقائب واضعة نصب عينيها الاّ تحمل إلا أصغرها، وبعد ذلك ستتحمل ارنستين ارسال الباقى بدون شك.

استلقت على السرير وتأملت السقف، لا تريد أن تنام خوفاً من أن لا تستيقظ فى الوقت المناسب. كان عليها ان تنتظر حتى ينام سكان

www.liilas.com

القصر لكى تنقل حقيبتها الى السيارة.

وبتأن رتبت مخطط الغد، ستأخذ الرينو، عليها أن تختلق حجة لتستعيرها، وتتركها فى محطة سان جوست.

فى الثالثة صباحاً تسللت من غرفتها ونزلت السلم فى الظلام بحذر وأمتعتها فى يد واليد الأخرى على قلبها خشية أن يراها أحد، وفى الصالة مشت بسهولة لأنها كانت مضاءة بأشعة القمر.

أمسكت أنفاسها وهى تفتح باب الدخول، واجتازت الباحة بصمت ووصلت الى المرآب بعد أن مرت امام مرسم راوول.

لحسن الحظ كان الباب مفتوحاً، وفى الداخل اصطدمت بكتلة معدنية باردة فتحسستها بيدها لكى تحدد شكلها وعرفت انها سيارة راوول. تقدمت بحذر فى الاتجاه الآخر حتى لمست سيارة الرينو وفرحت عندما وجدتها غير مقفلة. وضعت أمتعتها على المقعد الخلفى وغطتها بالغطاء الذى وجدته على المقعد يوم وصولها، ولم تغلق الباب تماماً خوفاً من احداث ضجة، ولم يبق أمامها إلاّ أن تعود الى غرفتها وتنتظر طلوع النهار. لم تجد صعوبة فى ايجاد مخرج المرآب، كان مضاء بشعاع من النور، وأثناء خروجها اصطدمت بشىء معدنى احدث صوتاً فى الصمت الليلى كالجرس، فهرعت الى منطقة مظلمة للاختباء بها وقلبها يضرب بشدة من الخوف.

سمعت صوت باب المرسم ينفتح على مصراعيه وظهر خيال راوول...

نظرت اليه، كان يمسك ريشة طويلة ويضع يده الأخرى فى جيب بنطلونه، الصورة نفسها التى احبتها والتى لن تراها بعد الآن. وأكثر ما كانت تخافه أن يكتشف وجودها لأنها بالتأكيد ازعجته فى اللحظة التى يضع فيها اللمسات الأخيرة لبورتريه نويل، ولا تعرف العواقب.

عاد راوول الى مرسمه عندما لم يلاحظ شيئاً غير طبيعى، وأغلق الباب. كانت بحاجة الى عدة دقائق كى يتأقلم نظرها مع الظلام، ولكى تستجمع شجاعتها لاجتياز الباحة فى رحلة العودة إلى غرفتها.

اغتسلت ولبست قبل طلوع النهار، وجلست على حافة السرير تفكر بالحجة التى ستتخذها لتستعير السيارة، وفجأة تذكرت حديثها مع السيدة دوبريان، بشأن شيزديو، نزهة تستغرق يوماً، ولن يلحظ احد اختفاءها قبل العشاء. وفى هذه الفترة تكون تقريباً قد وصلت الى باريس.

كان عليها أن تبلغ المحطة بأسرع ما يمكن لأنها لا تعرف فى أية ساعة يمر قطار الجنوب من سان جوست.

ستتناول افطارها وستتحدث عن رحلتها، ثم تأخذ المفاتيح من غاسبار، لترحل وبصورة نهائية.

لا يزال راوول نائماً لأنه عمل الى فترة متأخرة من الليل، وكذلك السيدة دوبريان لا تستيقظ الا فى ساعة متأخرة كعادتها.

ولكن هل كان عليها أن تترك كلمة عن مكان وجود السيارة؟

ليس هذا ضرورياً لأن سان جوست قرية صغيرة وسوف يلاحظون

www.liilas.com

وجود الرينو امام المحطة ويعلمون اصحاب القصر، بالاضافة الى ان هيلويس يمكن أن تكتشف غيابها أثناء تنظيفها للمنزل، وسيصل راوول أو والدته قبل ان تصعد الى القطار.

نظرت ارنستين بدهشة وبشيء من الشك عندما رأت ديللى تنزل باكراً... من المؤكد انها على علم بأحداث البارحة.

- هل نامت الآنسة بشكل جيد؟

- نعم. اشكرك يا ارنستين على هذا الاهتمام.

وبدأت ديللى تحكى عن مشروع رحلتها الى شيزديو.

- السيد راوول لن يرضى بذلك.

- أنت تعلمين أن السيد راوول ليس حارسى، وأقدر ان اجد طريقى بدون مساعدة.

وكررت ارنستين بعناد:

- السيد راوول لن يرضى بذلك.

- سأتدبر الأمر معه لدى عودتى. وسأتناول طعام الافطار اذا سمحت.

- لكن السيد راوول...

قاطعتها ديللى بحدة:

- السيدة دوبريان سمحت لى باستعارة السيارة عند الحاجة.

- لكن بعدما حدث البارحة مساء...

- ماذا تريدين أن تقولى يا ارنستين؟

- السيد راوول سيغضب.

تناولت ديللى افطارها بحضور ارنستين.

- هل ترغب الآنسة أن أعد لها بعض المأكولات السريعة، فالطريق طويلة؟

- لا شكراً، سأتناول طعامى فى احد المطاعم ويسرنى أن اتذوق الطعام الخاص بالمنطقة.

- كما تريدين يا آنسة. ولكن مارى آنج جهزت بعض اللحوم الباردة.

- انه لطف كبير منك، ولكنى لست بحاجة الا لمفاتيح السيارة، والخريطة، أين يمكننى أن اجد غاسبار؟

- سارسله اليك يا آنسة، انه ما زال يتناول طعامه فى المطبخ.

اصغت بانتباه لشرح غاسبار على الخريطة، وهذا جزء من المؤامرة.

- كونى حذرة أثناء القيادة يا آنسة، فالطقس على وشك أن يكون ماطراً وهذا يعنى فيضانات حقيقية، وأرضاً قابلة للتزحلق.

- وهو كذلك، لا تخف يا غاسبار.

- السيارة قديمة، وأصلحناها مؤخراً، آمل أن تسير بشكل جيد.

- كن مطمئناً ولا تقلق.

فرحت جداً عندما عرض عليها غاسبار أن يحضر لها السيارة من المرآب لأنها بذلك سوف تتجنب المرور امام مرسم راوول.

www.liilas.com

نظرت ديللى للمرة الأخيرة الى القصر قبل أن تنطلق فى رحلتها، غيوم كثيفة تحجب الشمس وتعطى مونبيردو مظهراً حزيناً، والمطر ينذر بالهطول ولكنها ستكون قد أخذت مكانها في القطار، وفى اسوأ الاحتمالات تحتمى فى صالة الانتظار فى محطة سان جوست.

الطريق المتعرجة أيقظت ذكرياتها، يدا راوول المتقلصتان على المقود، راوول الذى يقود بسرعة جنونية وكاد يقتلها، راوول مرتاح ومبتسم فى زيارة بوى، راوول المخيف بعد العشاء عند نويل. بذلت مجهوداً كبيراً لتطرده من تفكيرها وتركز اهتمامها على القيادة، وبعد قليل بدأت الأرض المرصوفة بالصعود والتعرج وكذلك بدأت السيارة تعاند والمحرك يسخن وبعد عدة قفزات توقف تماماً عن الدوران كما توقع غاسبار.

شدت الفرام بيدها وحاولت أن تعيد تشغيل المحرك لكن دون جدوى.

لم تعد تعرف ماذا تفعل فهى لا تزال بعيدة عن غايتها، لقد مرت تواً من مدخل الطريق الضيقة الموصلة الى نويل، ولكن لا يمكن أن تطلب مساعدة تلك المرأة مهما كان الثمن. لم يكن امامها الا ان تترك السيارة وتتابع سيراً على الأقدام.

ولكن اذا ما رآها أى شخص سيخبر القصر فوراً. وقد يمر راوول من هنا. وقررت أن تتركها تنزلق فى الطريق الخلفى محاولة صعبة وخطرة على طريق متعرجة وترابية. شدت اخيراً فرام اليد وتركت

المفاتيح فى السيارة، ليس هناك خطورة طالما ان السيارة معطلة. فتحت الباب الخلفى ورفعت الغطاء الذى يخفى حقيبتها.

ما العمل؟ انها اصغر حقائبها ولكنها ثقيلة مع ذلك. أثقل من أن تحملها حتى سان جوست. وقررت أن تتركها وسيرسلونها دون شك مع بقية المتاع. سحبت كنزة سميكة وتذكرت انها نسيت الحمراء التى تشف بسرعة فى مرسم راوول. ووضعت فى حقيبة يدها أدوات الزينة والألبسة الداخلية وجواز السفر والنقود.

صعدت الطريق الترابية وهى تتأسف لأنها انتعلت الحذاء ذا الكعب العالى، ثم سارت باتجاه سان جوست. استراحت قليلاً ولكنها فكرت بأنها لن تصل المحطة قبل الظهيرة اذا كانت ستتابع على هذا المنوال.

ثارت عندما احست بضعفها مع انها احكمت خطتها جيداً، ولماذا يعاندها القدر الى هذا الحد؟ لمحت ممراً شائكاً فى العمق ولكنه بالتأكيد يختصر المسافة عدة كيلو مترات، خلعت حذاءها دون تردد وسارت بخطوات منتظمة الى ان وصلت الى مكان استطاعت فيه أن تميز جدران سان جوست، ولكن كان عليها أن تهبط منخفضاً آخر يوصل الى هضبة فتابعت طريقها بشجاعة ولكنها فوجئت ببحيرة صغيرة قطعت عليها طريقها، فوقفت تتفحص الاتجاه الذى عليها أن تأخذه.

انها بالتأكيد بحيرة الرجل الضائع التى حدثتها عنها أوجينى دوبريان. كان المكان رائعاً، بعيداً عن الطريق وغير مشوّه بالمدنية، لا ترى

www.liilas.com

بيتاً ولا كوخاً، حتى القرية كانت تختفى خلف القمة. اقتربت من الشط لعلها تلمح اثار المدينة الغائرة، لكن سطح المياه الأملس لم يعكس لها الا صورة الغيوم الملبدة فى السماء. الهواء البارد بدأ يعصف والمطر ينذر بسيوله وعليها أن تسرع قدر الإمكان لتهرب من كل ذلك ولتلحق بالقطار.

وفجأة غاصت قدمها فى شق صخرى، وحاولت سحبها بشتى الطرق، لكن دون نتيجة. استندت على صخرة وشدت رجلها بقوة سمعت بعدها طقطقة وأطلقت صرخة من شدة الألم. لقد اصبحت قدمها حبيسة الصخرة وأقل حركة كانت تثير فى ساقها ألماً لا تقوى على احتماله.

حبست دموع اليأس فى مآقيها، ولا أمل لديها الآن الا اذا حركت الصخرة. حاولت أن تحيطها بيديها وتدفعها بكل قواها لكن دون فائدة أيضاً، ولا امل لديها بأى مساعدة لأن الزوار لا يمكن ان يقصدوا البحيرة فى مثل هذا الطقس.

ارعدت السماء وأبرقت وهطلت الأمطار كالسيول، تمددت ديللى بنصفها على الأرض وبعد مجهود استطاعت أن تمسك حقيبة يدها وتخرج منها الكنزة لكى تتقى بها المطر ولو مؤقتاً، وحاولت أن تجمع الحاجيات التى سقطت منها وتبعثرت على الأرض، وتذكرت قبعة بلاستيكية فى حقيبتها فلبستها على الفور وكانت هذه حمايتها الوحيدة من كثافة الأمطار.

١١ ـ حلم أم حقيقة؟

كان الضباب ينسحب فوق البحيرة متخذاً أشكالاً خيالية لا متناهية. تساءلت ديللى اذا لم تكن مخيلتها هى التى تلعب عليها هذا الدور. موكب من الكائنات الغريبة سكنت هذا الليل الطويل، وقد لا يكون هذا الضباب المتحرك الا من صنع خيالها.

كانت تتجمد كلما عصفت الريح وهزت كيانها، لكن آلام جسمها لا تزال تذكرها بأنها ما تزال آدمية من لحم ودم. ولتتجنب أن تغرق فى حالة جنونية، ركزت انتباهها على اشياء صغيرة حقيقية. مثل العشب الذى تتلألأ عليه قطرات الندى، حجر غريب الشكل وحشرة فى شق صخرة، وبعد قليل انهكها هذا الجهد فأغمضت عينيها. منذ متى وهى على حافة البحيرة؟ منذ يومين؟ ثلاثة؟ دهر؟ فى البداية تراقص البرق واشتدت العواصف وسقطت الأمطار كالشلالات وكأن الجنية صاحبة الاسطورة عادت لتكسر كل شىء حولها.

وبعد بضع ساعات هدأت العواصف وتبعها سقوط مطر جليدى حتى الغسق. وتذكرت ديللى انها صحت عدة مرات فى الليل الحالك،

www.liilas.com

وفى اليوم الثانى بزغت شمس شاحبة. خلعت ديللى كنزتها لتعرض فستانها المبلل وجسمها لأشعة الشمس، ثم عادت الغيوم لتغطى سطح السماء مرة أخرى، وأعقبها مطر اضطرها أن تعيد كنزتها الى اكتافها وهى لا تزال رطبة.

ولم يتأخر الجوع فى زيادة تعذيبها، لقد رفضت أن تحضر لها ارنستين بعض الأطعمة. ولحسن الحظ استطاعت أن تروى ظمأها من المياه المتجمعة فى حفرة الصخرة. وفى وقت لاحق أثناء النهار عادت تمطر رذاذاً، ولكنه كان يخترق كيانها حتى العظم. سيما بعد أن طارت قبعتها مع الرياح لتفقد بذلك حمايتها الوحيدة.

وبعد ذلك فقدت احساسها بالزمن، فأحيانا تدخل فى حالة غيبوبة وأحياناً وبشكل لا ارادى تصحو على اثر الألم الذى ينتابها ويصعب التغلب عليه.

وفى اليوم الثالث أو قد يكون الرابع، تشكل لديها هوس جديد الا وهو هوس سمعى بالاضافة الى الهوس البصرى.

لقد بدأت تسمع اصواتاً يرتد صداها بعد ارتطامها بالصخور المحيطة بالبحيرة، وفى لحظة ارتسم امامها خيال راوول عن بعد، ثم بدا وكأنه يقترب منها. وبدأ يكبر ويكبر حتى حجب الأفق، ووقعت مغمى عليها، سعيدة من انها هربت من طيف راوول.

- ديللى.

رنت الكلمة فى رأسها وأيقظت رغبتها فى التحرر. ان السراب هذه المرة يمتلك صوتاً ويدين وكتفين حملتها وأصابع لامست وجهها، ومن أعماق يأسها تمنت أن يكون هذا الوهم حقيقياً.

ثم سمعت صوتاً آخر وشاهدت اجساماً اخرى، أحدها ادخل قضيباً حديدياً تحت الصخرة، وتحركت.

عض قدمها ألم فظيع ثم وصل الى الرسغ وأخيراً صعد الى الساق. بدت امامها صورة راوول ثانية، انه غاضب ولكن ليس منها وانما من شخص آخر، كان يشتمه، ثم سمعت صراخاً، وفجأة توقف الألم.

هوسها اخذ منحى آخر، لم تعد سجينة، شخص اخذها بين ذراعيه وهدهدها كالطفل، وأحست بأن قواها تغور وأغمى عليها ثانية.

عندما عادت الى وعيها وجدت نفسها فى سيارة، لم تكن سيارة راوول وانما هناك شخص آخر يقودها، ولكنها احست بأن راوول هو الشخص الذى يجلس الى جانبها.

توقفت السيارة، وعندما اخرجوها، عبر برج القصر مجال رؤيتها ثم مريول ارنستين الأبيض، وسمعت صوتاً آخر، ثم السلّم. فتح باب وأخيراً تعرفت على غرفتها.

وفى حالة نصف واعية رأت ارنستين تمد الشراشف على السرير،

www.liilas.com

ثم ذهبت وعادت بطشت. شخص ما حملها بتؤدة الى السرير، امسكت بيده خائفة من أن تبقى وحدها.

- دليلة.

انه صوت راوول، قلق وحنون ومنفعل فى آن واحد. ارادت أن تصرخ من يأسها، لكنها فقدت مقدرتها على الصراخ.

وأخيراً وجدت نفسها فى سرير ناعم وغرق رأسها بين المخدات.

ودون أن تدرى اذا كانت فى حالة حلم أم يقظة، لمحت راوول. انه بقربها، يمسّد شعرها بيد ناعمة، ويقول كلاماً لا تسمعه. فاضت دموعها بغزارة وأحست بأن احداً يمسح دموعها. ارادت أن ترفع رأسها فسقط ثانية، وتلاشت حواسها ودخلت فى حالة غيبوبة.

١٢ ـ أحبك

الجدران تتقارب، تغيّر اشكالها، ثم تتلاشى بعيداً. وأخيراً يعم الظلام، وبعد وقت طويل نقطة ضوء ثم اثنتان ثم عدد لا يحصى من الأسهم النارية ملأت المساحات وبهرت العينين.

وفى لحظات اخرى ارتسمت وجوه على السقف وعلى الجدران، وجه ارنستين القلق من شىء ما كالمعتاد، وجه السيدة دوبريان الشاحب كالموت. وجه رجل قد يكون عمها ولكنه ليس هو، انه على الأغلب وجه راوول، حاد أو مخيف أو وقح أو مبتسم أو حزين.

وأخيراً لم يعد يسيطر الاّ الليل، عميقاً، أصمّ، وازلياً.

وعندما استيقظت ديللى كانت الغرفة تسبح فى أشعة الشمس.

قال صوت لطيف جداً:

- آنستى؟

ادارت رأسها الذى يقرع كالطبل وتعرفت الى ارنستين. ارادت أن تكلمها لكنها لم تستطع لأن عضلات وجهها كانت شبه متلاشية، فرفعت ارنستين لها رأسها وقربت كأساً من شفتيها الناشفتين. شربت

www.liilas.com

بضع نقاط من الماء وأحست بالتحسن واستطاعت الابتسام، ولكن الجهد كان كبيراً فأغمضت عينيها ونامت مجدداً.

حلمت أن راوول يلمس وجهها بنعومة، ورغبت أن تلمسه لكن اعضاءها رفضت الاستجابة.

وأحست بحرارة أنفاسه على وجهها. ثم تلاشى الحلم وعندما فتحت عينيها شاهدت ارنستين تمسح عرقها بمنشفة رطبة ومعطرة، ثم اعطتها بضع ملاعق من الشراب الساخن.

- الآنسة افضل اليوم كما ارى.

بما ان ارنستين ترى ذلك فقد يكون صحيحاً، مع انها تشعر بارهاق شديد وألم لا يوصف.

- اريد ايضاً قليلاً من الحساء.

- لا يا آنستى، فى هذا بعض الخطر، الحرارة لم تهبط الا البارحة، والآنسة كانت مريضة جداً، وكادت تموت من البرد.

سألت وهى تتلفظ بصعوبة:

- كم من الوقت...

- الآنسة كانت تهذى خلال أربعة ايام، والسيدة كانت قلقة جداً. ولكن الطبيب اكد لها البارحة بأن الوضع لم يعد خطراً.

- وراوول؟

- السيد راوول هو الذى وجدك بعد بحث يومين، الكل بحث عنك فى شيزديو. يجب الا تتعبى نفسك الآن ولا تفكرى بشىء، نامى وعندما تصحين سأعطيك حساء لا تقلقى.

كانت ديللى قد نامت قبل أن تنهى ارنستين كلامها، ثم استفاقت بعد عدة ساعات من نوم عميق لم تزعجه الكوابيس.

وكانت ارنستين لا تزال تجلس بقربها امام الطاولة.

- ارنستين عليك ان تكونى قرب السيدة دوبريان.

- لا يا آنسة، السيدة امرتنى أن اظل بقربك حتى تتماثلى للشفاء.

- ومن يعتنى بها؟

- لا تقلقى، هيلويس لطيفة جداً وتتدبر الأمر، وبما ان مرحلة الخطورة قد انتهت فسأعود الى جانب السيدة هذا المساء، والآن عليك ان تأكلى بشكل جيد لكى تستردى قواك.

وبعد قليل جاءتها مارى آنج بطبق من الحساء وآخر من الفاكهة المطبوخة، وقد كانت قلقة بشأن صحتها كارنستين.

بذلت مجهوداً كبيراً لتأكل وقالت فى نفسها «الكل اهتم بى حتى السيدة دوبريان بعد كل ما حصل، الا الشخص الوحيد الذى كنت بحاجة لرؤيته. أين هو الآن؟ هل هو هنا؟ ام فى باريس؟».

كان يلزمها يومان لكى تستعيد شيئاً من الحيوية، ولكى تبقى

www.liilas.com

صاحية لمدة ساعتين متتابعتين. ارنستين تعتنى بها بشكل دائم، كذلك هيلويس كما تعرفت الى الطبيب شارل طبيب سان جوست الذى اعتنى بها وعاملها معاملة خاصة على انها انسانة ودودة وقريبة من القلب.

أتت السيدة العجوز لزيارتها، وكان متعبة وبقيت معها فترة قصيرة. راوول ما زال غائباً، هل أتى لرؤيتها وهى فى حالة الهذيان ام كان ذلك من نسج خيالها؟ ومن المؤكد انه سافر الى باريس بعد أن وجدها، وبعد الوقت الذى اضاعه فى البحث عنها أثناء افتتاح معرضه.

فى اليوم التالى نهضت من السرير ولكن ساقيها لم تقويا على حملها لفترة طويلة. فعادت مسرعة الى السرير، وبعد يومين أحست بالتحسن، ثم عاد الطبيب لزيارتها واطمأن من نتائج الفحص.

- انك قوية، وهذا من حسن الحظ، يا حبذا لو كانت السيدة دوبريان كذلك.

قالت وهى تتألم من أن تكون هى المسؤولة:

- يبدو لى انها مريضة جداً.

تمتم:

- انه مرض النفس. هذا التشخيص ينطبق عليك كذلك.

اكدت بصوت ملىء بالثقة:

- اشعر باننى شفيت تماماً. نزلت البارحة الى العشاء وأمضيت

الصباح وانا اتنزه فى الشمس.

اكد لها الطبيب:

- انت لم تستعيدى صحتك تماماً. اعتقد ان فى داخلك شيئاً ما ولكنى لا أعرفه.

قالت كاذبة وهى ترغم نفسها على الابتسام:

- لا. كنت اتمنى فقد أن التقى عمى وعمتى. فانا لم أرهما منذ فترة طويلة.

- ستتحقق امنيتك قريباً واعتقد انك خلال يومين أو ثلاثة يمكنك تحمل اعباء السفر. وسأشرح هذا للسيدة دوبريان، لكن عليك أن تمنعى نفسك من الانفعال الداخلى فهناك بعض الأمراض يعجز عن معالجتها امهر الأطباء.

الطبيب محق فى ذلك، لقد حاولت أن تطرد الشبح الذى يأكل قلبها، شبح راوول. انه يشغل قلبها وعقلها كلياً. كانت ديللى متأكدة من انه فى باريس، ولكنها لم تجرؤ على طرح السؤال خوفاً من كشف عواطفها.

منع الطبيب السيدة من مغادرة غرفتها فذهبت ديللى لزيارتها، وقد صدمت لرؤيتها على ما كانت عليه من ارهاق، وانقبض قلبها لما سببته لها من الآم.

- آمل الا تتحاملى على لأننى تسببت فى ازعاجك.

www.liilas.com

ابتسمت السيدة دوبريان، وكانت تجلس على أريكة كبيرة وتغطى رجليها.

- كنت سأحزن لو لم تأت لرؤيتى. لقد سعدت كثيراً حين اخبرتنى ارنستين بأنك افضل بكثير الآن.

- هذا صحيح، شكراً لك.

تبع ذلك صمت محيّر، استعادت ديللى شجاعتها لتكسر هذا الصمت المطبق.

- لا أعرف كيف اعبر لك عن افكارى، لكنى اود ان اقول باننى لم اقصد ابداً أن اسبب لك اى ألم ولا لأى شخص آخر فى هذا العالم، ولقد شعرت فى الأيام الأخيرة بأننى اعيش فى اسرتى كما اننى كنت فخورة من أن تكونى لى أماً أو حماة، ولا يمكن أن احتمل فكرة تعذيبك.

تنهدت العجوز بحرقة:

- وهل فعلت هذا؟ لا اعتقد. ان ما شرحته لى فيما يتعلق برايس، حاولت أن أنساه قدر الامكان. ولكنى لن انسى ابداً أنك كنت ستموتين بسببى.

- هذا ليس صحيحاً، هناك شىء آخر دفعنى للرحيل.

ثم سكتت خوفاً من أن تكشف حبها لراوول.

ظلت العجوز صامتة لفترة طويلة وكأنها تجتر ما قالته ديللى ثم تمتمت وكأنها تكلم نفسها اكثر مما تكلم شخصاً آخر:

- شىء آخر...؟ لكن...

ثم صمتت

حاولت ديللى أن تستعيد الحديث.

- الطبيب سمح لى بالسفر خلال يومين، آمل أن توافقى على ذلك.

- لا، لست موافقة، وكذلك ابنى لن يكون موافقاً، لقد كان قلقاً جداً عندما سافر. ولولا أن الطبيب اكد له بأن لا خطر عليك...

لم تجرؤ ديللى على الحركة وأمسكت أنفاسها متمنية وخائفة فى الوقت نفسه من أن تسمع المزيد من الأخبار عن راوول.

- ... لكن راوول تأخر عدة أيام، والمسؤول عن صالة العرض لا يعرف السبب. الافتتاح لا يمكن أن يؤجل، أتفهمين؟

اجابت بصوت ضعيف:

- لم انتظر أن يفعل ذلك.

اذن، لقد بقى فى مونبيردو بعد انقاذها.

- سيعود خلال اسبوع.

ويبدو ان السيدة كانت تترصد ردّ فعل ديللى.

- انا متأكدة من أن المعرض سيكون ناجحاً.

هذا كل ما استطاعت أن تقوله، وأضافت جاهدة وهى تحاول أن تتحكم فى نفسها:

- يسعدنى أن اقرأ شيئاً من رأى النقاد.

www.liilas.com

– من الأفضل أن تنتظرى قليلاً، ان راوول قلق جداً بشأن صحتك، وهو يتصل هاتفياً كل يوم... مرتين أو ثلاثة، مع انه، كما تعلمين، يكره الهاتف جداً.

مسحت ديللى دموعها، انه يتصل كل يوم ليطمئن على صحة والدته وليس هى، فهو لم يطلب أن يكلمها. وبعد أن تذكرت قلقه قالت لنفسها: «سيكون قلقاً أيضاً اذا ما حدث اى حادث مشابه لأرنستين أو مارى آنج أو غاسبار».

– يمكنك أن تخبريه بانني شفيت.

– لماذا لا تؤكدين له ذلك بنفسك؟

– عندى موعد مع عمتى فى باريس، وهكذا لن اكون وحيدة طيلة الرحلة.

فكرت السيدة لحظة ثم شدت على وجهها.

– مع الأسف، اطلب منك فقط أن تزورينى قبل رحيلك.

غادرت ديللى السيدة دوبريان بعد السهرة بقلب حزين لأنها لن تراها بعد الآن. ولكنها احست بالارتياح من تحسن صحتها، لقد كانت هادئة وكأنها فى حالة سلام داخلى مع نفسها. ربما لم تعد تعتبر نفسها المسؤولة عن الحادث المأساوى الذى كان سيكلف ديللى حياتها.

ديللى الآن جاهزة للرحيل ولحسن الحظ ان غاسبار وارنستين اهتما بكل شىء لأنها لم تكن قد استعادت قوتها بشكل كامل. وبذلت

جهداً لكى تغادر المقعد الذى اعتادت أن تجلس عليه فى الفترة الأخيرة، وألقت نظرة أخيرة على المكتب والخزانة والحمام، لتطمئن الى انها لم تنسَ شيئاً. لقد حزمت كل امتعتها ما عدا قميص الدانتيل، الذى تركته معلقاً فى الخزانة ولم تجرؤ على أخذه، والكنزة الحمراء التى نسيتها فى مرسم راوول.

ودّعت ديللى ارنستين ومارى آنج، وتأثرت عندما رأت ارنستين تمسح دموعها خفية بطرف مريولها .

قررت أن تنتظر غاسبار فى الخارج بما أن الطقس جميل. نزلت على مهل وهى تلامس بأصابعها درابزين السلم، ومن واجهة الصالون الزجاجية راحت تتأمل للمرة الأخيرة ورود الباحة الداخلية مما احيا ذكرياتها والامها. ثم فتحت الباب وخرجت الى الشمس. لكن غاسبار تأخر.

لمحت باب مرسم راوول مفتوحاً، لابد أن هيلويس وارنستين استغلتا فرصة غياب راوول لتنظيفه، وهذا اعطاها فرصة لاستعادة كنزتها.

دخلت الغرفة ولم تجد أثراً لأحد.

معظم اللوحات التى كانت معلقة على الجدار، اختفت ولم يبق الا بعضها، وعلى حاملة اللوحة رأت واحدة كبيرة، ولكن من الخلف. لابد انها لوحة نويل، ولمحت على الطاولة الكنزة الحمراء فاقتربت ومدت يدها لتأخذها.

– ديللى.

www.liilas.com

قفزت وكأن تياراً كهربائياً مسّها. والتفتت لترى راوول واقفاً أمام الباب والابتسامة تعلو شفتيه. خفق قلب ديللى وتلعثمت فلم تنطق بكلمة واحدة. دخل وأغلق الباب ولم يقترب وانما نظر اليها متأملاً بعيون تلمع كالذهب.

تمتمت بخجل متحاشية نظراته:

- جئت استعيد الكنزة.

اقترب منها بهدوء.

- ظننتك فى باريس.

- كنت، وعدت منذ بضع دقائق فقط.

تابع تقدمه ثم توقف على بعد خطوات قليلة منها. رفع يده وكأنه يريد أن يلمسها ثم انزلها وتنهد من أعماقه.

- ظننت اننى سأراك فى القصر.

- نزلت لأننى سأرحل خلال ساعة.

- هل انت متأكدة؟ لا اعتقد انك تستطيعين السفر.

- الطبيب سمح لى بذلك.

- اذن، هكذا سترحلين، وبدون وداع؟

- طلبت السماح من والدتك.

- اخبرتنى بذلك البارحة.

- ظننت ان رحيلى لن يؤثر عليك، فأنت لم تكلمنى على الهاتف.

- من المستحيل أن اقول لك الى اللقاء بهذه الطريقة.

- اذن سأودعك وأقدم شكرى.

- شكرك؟

- لن انسى انك انقذت حياتى.

- يمكنك أن تشكرى نويل لأنها لو لم تكن...

لم يكمل الجملة التى قالها بسخرية. وبلعت ديللى ريقها بصعوبة لأنها لا تريد أن يكون لنويل فضل عليها.

- لابد انك قمت بالشكر نيابة عنى.

- هذا ما فعلته.

- لقد تسببت فى تأخير سفرك الى باريس وارجو أن تقبل أسفى.

- لتذهب باريس الى الجحيم.

حاولت أن تحتفظ بهدوئها وسألته بلهجة حيادية:

- كيف كان رد فعل النقاد؟

- ليست لدى أى فكرة بهذا الشأن، الافتتاح هذا المساء.

- اذن ستكون...

www.liilas.com

قال وهو يهز كتفيه:

- نعم ساكون غائباً، لا احب يوم الافتتاح على أى حال.

- هذا ما يفسر عودتك اذن؟

- ديللى. انت تعرفين تماماً سبب عودتى.

قالها بصوت جاد وحار لم تسمعه من قبل، احست بقلبها يخفق بجنون، اخذها من ذراعها وجرها نحو حامل اللوحة.

حاولت أن تقاوم لأنها لا تريد أن ترى رسم نويل.

قال بصوت لطيف:

- ربما هذا يساعدك على الفهم.

فتحت عينيها متوقعة أن ترى نظرة نويل المتعجرفة ولكن اللوحة لم تكن الا مرآة لها. انها امام صورتها هى.

الوجه محاط بشعر اشقر يميل الى الاحمرار، اذنان صغيرتان مرسومتان بشكل جميل، العينان نفسهما التى وصفهما لأمه، رماديتان شاحبتان على مساحة كبيرة. الفم كبير بلون احمر شاحب يفتر بشكل خفيف عن ابتسامة تخفى اسناناً عاجية جميلة، الذقن دقيقة مرفوعة.

ديللى اللوحة تلبس قميص الدانتيل، بفتحة صدر كبيرة تكشف عن رقبة جميلة تثير الاحاسيس الغافية.

تمتم راوول بصوت مخملى:

- مزيج رائع من البراءة والاثارة.

التفتت اليه بعينين مدهوشتين.

- تحبنى، والا لما رسمت هذه؟

لم يكن سؤالاً ولكنه كان اكتشافاً.

- اعتقد ان قلبى احبك منذ البداية، لكن كان على ان ارسم وجهك لاكتشفك.

- لكن لم تقل لى ذلك ابداً.

كانت ديللى تضغط بيديها على صدرها لكى تخفف من ضربات قلبها المجنون.

- مع انك كنت ترسم نويل.

- هذا صحيح.

وقف بجانبها ولم يقترب، ونظر اليها بحنان وكأنه يلامسها بعينيه.

- عند رسمها اكتشفت حقيقتها، وتوصلت الى اكتشاف كل ما كانت تخفيه عنى لفترة طويلة، لذلك لم اكمل اللوحة.

- وبالتأكيد لم تكن مسرورة لذلك؟

- لتذهب الى الجحيم، انها لم تكن مسرورة من مجموعة أقوال أسمعتها إياها. هل يمكن لشخص ما ان يصمت طيلة هذه الفترة، أثناء اختفائك، وهو يعرف ان سيارتك تقف بجانب...

www.liilas.com

قاطع نفسه وكأن الكلمات رفضت أن تخرج من حنجرة مليئة بالانفعال.

- لكنى حسمت كل شىء فى الليلة التى تعشت فيها معنا.

- والرسالة التى ارسلتها...

- كانت المحاولة الأخيرة.

- لكن عندما اصطحبتنى للعشاء عندها بدت لى...

- كانت غيورة من جمالك... وأحست قبلى باننى احبك فلعبت هذا الدور لكى توهمك بأننى مغرم بها.

لا تريد ديللى أن تفكر ثانية بهذه المرأة التى تغير منها بجنون.

- نويل لم تستحوذ على قلبى اطلاقاً، ولا انكر وجود علاقة ما. وبعد كل شىء فأنا رجل...

قالت بابتسامة خبيثة:

- لقد صدق احساسى.

وأخيراً كانت ديللى هى التى اقتربت من راوول.

- راوول.

ولكنه لم يدعها تكمل، بل ضمها بين ذراعيه بحنان فى لحظة تمنتها ديللى من سويداء قلبها، وغابا فى عناق حار وهو يهمس باسمها...

www.liilas.com